478

HARLEQUIN

روايات أحلام

سر القمر الأزرق

رينيه روزيل

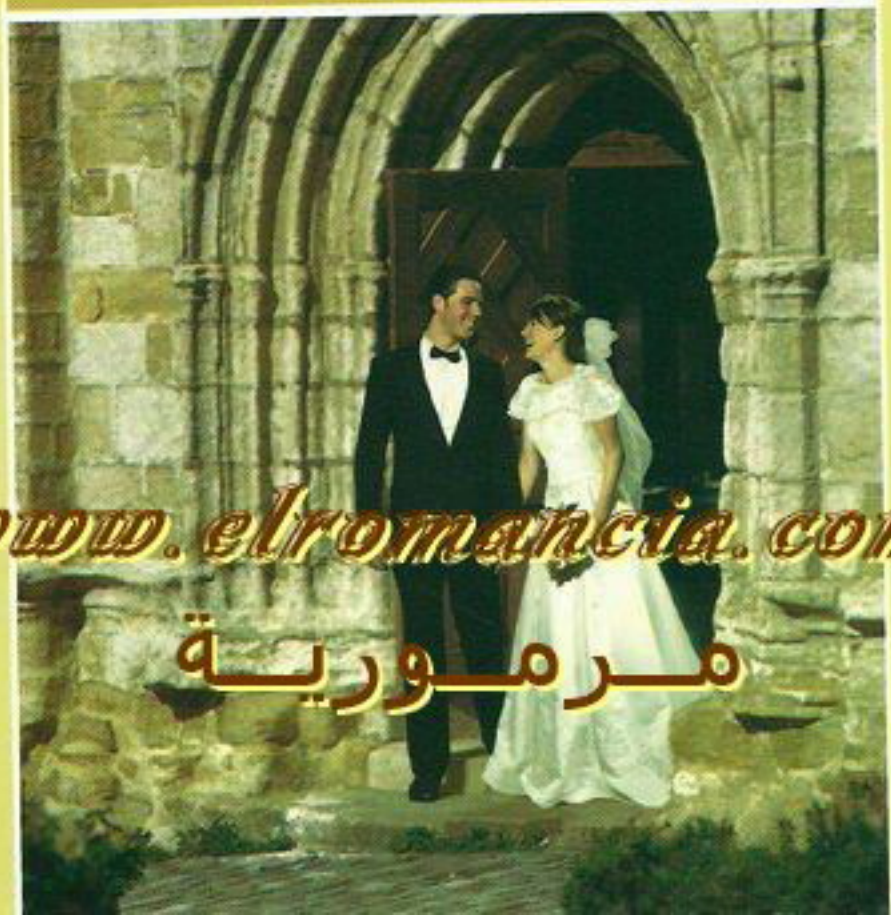

www.elromancia.com
مرمورية

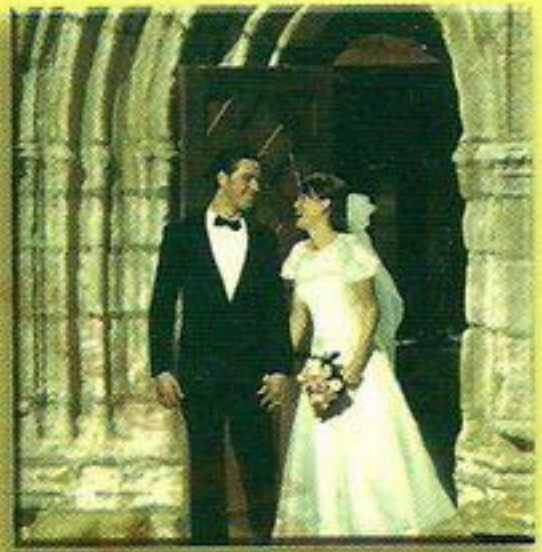

سر القمر الأزرق

وجدت هانا نفسها خلال عطلتها في مواجهة مع رئيسها في العمل . قد يكون روث جيرك أكثر الرجال وسامة ، لكن بما أنه رئيسها السابق فهو آخر رجل ترغب برؤيته.
ولم يستطع روث أن يفهم لماذا يتشاجران باستمرار بما أنهما لم يعودا يعملان معاً الآن . لم يكن لديه رغبة في إقامة علاقة عاطفية مع أي امرأة ، لكن مهما حاول ، فهو لا يستطيع تجاهل هانا أو تجاهل العواطف التى تنمو داخله تجاهها

رينيه روزيل

تؤلف رينيه روزيل الروايات منذ 20 سنة وهي تكاد لا تصدّق أنها تحقق حلمها المهني منذ هذا الوقت. لقد سافرت إلى بلدان بعيدة غريبة. زارت الأتحاد السوفياتي قبل أن يتفتّت وبرلين الشرقية قبل انهيار السور بين الألمانيتين.

كما ساحت في مناطق الهنود في أميركا ومارست رياضة الغطس في هاواي وجزر كايمن وفلوريدا. يعيش أولادها في إيلينوي وفلوريدا، فتزورهم من وقت لآخر. وهي الآن تبني لها ولزوجها منزلاً في غراند ليك شمال غرب أوكلاهوما، حيث تتشوّق لمتابعة الكتابة في حضن الطبيعة الهادئة. تحب رينيه التواصل مع قرّائها الذين يمكنهم مراسلتها عبر موقعها الإلكتروني:

www.Renee Rozel.com.

١ - لعبة القدر

وجدت هانا نفسها تبتسم لأول مرة منذ أسابيع. رفعت رأسها وحدقت بالقمر. إنه معلق في السماء، وقد أطل من نافذة نصف دائرية من آخر جدار صامد لخرائب معبد حجري قديم. جلست على مقعد حجري في الحديقة، محدقة باندهاش بتوهج الفلك الواضح، من خلال فتحة في ذلك الزجاج الملون.

بدا المنظر فريداً، فهذا هو اليوم الثاني لاكتمال القمر في هذا الشهر. همست: «قمر أزرق!».

تساءلت كم من الأشخاص شاهدوا هذا المشهد الرائع، وشعروا بالرهبة من هذا الجمال الساحر. إنها سعيدة لأن مالكة الفندق اقترحت عليها الخروج إلى هنا. في هذه اللحظات، شعرت كأن همومها تلاشت بما يكفي كي تسمح لها بأن تشعر بالثقة بنفسها ولو لفترة قصيرة. على الأقل هي ليست مشوشة الذهن كما باتت تشعر بالفعل منذ أن قدمت استقالتها من عملها منذ شهر مضى. تنهدت وهي تتذكر الحزن الواضح الذي سمعته في نبرة صوتها في ذلك اليوم. لكن كيف تراها ستشعر بعد اكتشافها أنها مجرد فتاة ساذجة؟

كيف سمحت لميلو بريسكو أن يحولها إلى دمية بين يديه؟ افتتانها بالمحامي المتملق جعلها تقع في شباكه من دون تفكير. سمحت له أن يقنعها بأن تغير لون شعرها الأشقر الجميل إلى لون بلاتيني، وأن تلغي تموجه الطبيعي ليصبح شعراً أملس على الطراز الحديث، وهكذا باتت تحتاج كل صباح إلى ساعة كاملة لتتمكن من تصفيفه. هذا بدون ذكر

إقناعها بالتخلي عن زي المكتب العادي، حيث سمحت له أن يختار لها ثياباً عصرية قصيرة. شعرت بإحساس من إدانة الذات. كيف أمكنها أن تضعف أمام رجل، وتسمح له بأن يسيطر عليها؟

منذ سنتين، وبعد طلاق والديها، عاهدت هانا نفسها على أن تكون امرأة مستقلة، فلا تعتمد مطلقاً على أي رجل سواء من الناحية المادية أم العاطفية. انفصال والديها المؤلم علمها ألاّ تسمح لأي رجل أن يسبب لها دماراً كذلك الدمار الذي أصاب أمها عندما تعرض والدها لأزمة منتصف العمر، فجرى لاهثاً وراء امرأة أخرى. أصبحت دوروثي هودسون وحيدة، محبطة، واضطرت للعمل في أحد مطاعم الوجبات السريعة لتكسب عيشها. صممت هانا ألاّ تصبح مطلقاً مثل دوروثي، لهذا ضاعفت جهودها في بناء عمل ثابت لها. لكن، منذ أربعة أشهر، وقعت بقوة في غرام ميلو بريسكو. تمتمت: «الأحمق المتفاخر!».

أصابتها الصدمة الأولى بقسوة عندما سمعته يتبجح في المكتب ببراعته وقدرته في التأثير عليها متحدثاً عن التغير الذي طرأ عليها. غطت هانا أذنيها متمنية أن تمحو نبرة صوته من ذاكرتها، لكنها علمت أنها لن تتمكن مطلقاً من حجب السخرية الواضحة في نبرة صوته عندما قال متفاخراً: «أنا وروث ضحكنا كثيراً من التحول الذي طرأ على المساعدة الإدارية الساذجة، فقد تحولت إلى دمية متحركة بالفعل».

وصفها ميلو بالساذجة، وتلك الصفة حطمت قلبها تماماً. عملت هانا بجد واجتهاد كبيرين في الشركة، ولطالما اعتقدت أنها تستحق راتباً أكبر من ذلك الذي تتقاضاه. إدارة القسم المالي ليست أمراً زاهياً، لكنها بالرغم من الصراعات اليومية مع الموظفين الأقل شأناً، تمكنت من إدارة عملها بمهارة وكياسة، أو على الأقل هذا ما اعتقدته. لكنها، للأسف، سمعت بنفسها كيف يتم التقليل من شأنها من قبل رجل كانت تظن أنه يهتم لأمرها؟ شعرت بالخجل والخيانة. يمكنها تحمل وصفها بأنها دمية متحركة، لكن أن يقال إنها فتاة ساذجة... لاسيما أنها

قدمت أفضل ما تستطيع تقديمه من جهد ونشاط من أجل شركة جيرك للنفط خلال السنوات الخمس الأخيرة.

تمتمت: «وروث أيضاً ضحك!».

تبين لها أخيراً أن رئيس الشركة الجذاب، الذي تكن له الكثير من الاحترام، رجل سيئ أيضاً، فهو يعتقد أنها مجرد عاملة ساذجة. بعد ليلة رهيبة لم تعرف خلالها طعم النوم، وبعد إحساسها بالمهانة والاذلال، أدركت هانا أن محاولتها لإثبات نفسها، ستكون بلا شك عملاً أحمق. ففي النهاية، هي قدمت أفضل ما لديها من قدرة وكفاءة، ومن الواضح أن أفضل ما لديها ظل مدعاة لضحك رئيس الشركة. في نهاية الأمر، تحررت من الوهم، وأدركت أن ثقتها بنفسها محطمة كلياً، وهكذا قدمت استقالتها في صباح اليوم التالي. أما الآن، فهي بحاجة لأن تبرهن لنفسها أنها ليست فتاة بسيطة ساذجة.

قالت لنفسها: لا! هانا هودسون، أنت لست بسيطة أو ساذجة. بالطبع، تصرفت كالحمقاء بسبب حبك لميلو، لكن تلك الغلطة يمكن إصلاحها بإعادة اللون الأشقر الداكن لشعرك، وتقديم تلك الثياب إلى دور الاحسان. لكن بالرغم من ذلك ظل وقع تلك الكلمة يؤلمها ويزعجها، فكيف ستتمكن من إثبات العكس؟

تمتمت: «سوف ترى ميلو! وأنت أيضاً روث جيرك».

- عفواً؟

سماع صوت رجل يقتحم أحلام يقظتها، دفعها إلى رفع رأسها بقوة هي تشعر بالاستغراب. لحظة من الذهول شتتت عقلها قبل أن تدرك أن الصوت قادم من خلفها، من المنطقة المجاورة للممر الحجري للحديقة. استدارت لمواجهة المتكلم. بدا مشعاً بإشراق تحت ضوء القمر. شاهدت ملامحه الصارمة، فانقطع إصدار الأمر على الفور، وتجمدت هانا في مكانها. لا! ليس هو...

لاحظت الملامح القاسية في وجهه، تلك الملامح القوية البارزة

التي تعطيه جاذبية وسحراً. حبست هانا أنفاسها في صدرها فيما شعرت بوخزة من الألم. هي تعرف هاتين العينين تماماً. هما تبدوان الآن سوداوين في هذا الضوء، لكنها تعرف أنهما زرقاوان بلون السماء، وأن نظراتهما ثاقبة. لاحظت كتفيه العريضتين، وكيفية ملامسة شعره الأسود الفاحم لياقة قميصه. لكن ما لا تعرفه هو لماذا قرر القدر أن يلعب معها هذه الحيلة الشرسة. لماذا جعل روث جيرك يسترق السمع على أفكارها الخاصة تماماً في اللحظة التي ذكرت فيها اسمه؟ احتاجت هانا إلى عدة لحظات لتجد صوتها، وعندما تحدثت جاءت نبرتها سريعة وغاضبة.

- ما الذي تفعله هنا؟

بدا الرجل متفاجئاً. قال وقد ظهرت بعض التجاعيد في جبهته: «أتمشى».

حضوره كالطيف أضفى عليه هالة، فبدا كأنه أحد أبطال العصور القديمة. ربما يعود السبب إلى طول قامته، أو لأنه يرتدي قميصاً بيضاء وسروالاً فاتح اللون أيضاً، لكن تأثير وجوده مقلق للغاية. شعرت هانا بتسارع في دقات قلبها، وهذا الأمر أزعجها. لماذا تتأثر على هذا النحو برجل صرفها من العمل بسخريته؟ هي ما زالت محطمة عاطفياً، وثقتها بنفسها منهارة، وهي بالطبع ليست بحاجة إلى هذا الشخص المتكبر المتفاخر قربها. تحول إحباطها وانزعاجها إلى غضب وهي تقول: «أتيت إلى هذه الحديقة لأبقى بمفردي، ولكي أفكر».

هذه ليست الحقيقة الكاملة. صحيح أنها تريد البقاء بمفردها، لكنها لا تريد أن تفكر.

قال الرجل: «وأنا أيضاً. في الواقع... لم أركِ».

- أمر غريب! مع أنني مشعة كالألعاب النارية.

ازداد تغضن جبينه وهو يعلق: «إن كنت قد جرحت غرورك لعدم الانتباه لك يا آنسة، فأنا أعتذر. كنت ضائعاً في متاهات أفكاري».

ناداها آنسة... لماذا؟ هو يعرفها جيداً لدرجة أنه شارك ميلو في

السخرية منها! شعرت هانا بالاستفزاز من تصرفه، فاندفعت لتقف وهي تقول: «بل التظاهر بأنك لا تعرفني هو المهانة بعينها».

بدا الرجل كأنه يعاني من مشكلة ما. لم تستطع أن تقرر إن كانت ملامح وجهه تعزى إلى ما يفكر به، أم إلى عدم معرفته من هي بالتحديد.

راقبته وهو يواجهها قائلاً: «هل التقينا من قبل؟ أنت حقاً تبدين مألوفة لدي».

عقدت هانا ذراعيها فوق صدرها، وأجابت: «يجب أن أكون مألوفة لديك، لأنني عملت في شركتك لمدة خمس سنوات، وأمضيت الأشهر الستة الأخيرة بالعمل مديرة مالية للشركة».

أضافت في سرها: وبالنسبة إليك أنا المديرة المالية الساذجة.

ابتلعت غصة بصعوبة، فهي راغبة في أن ترمي إهانته بوجهه، لكنها لا تستطيع. لا تستطيع أن تتحمل سماع تلك الكلمة بصوت عالٍ مرة ثانية.

عقد الرجل حاجبيه بتركيز واضح.

لم تعد هانا متأكدة إن كانت منزعجة لأنه، كما يبدو بوضوح - لا يتذكرها، أم لأنه ضرب فخذه بيده، وصاح بفرح: «آه! صحيح... صحيح! أنت المديرة الساذجة، ودمية ميلو المتحركة».

- نعم، أنا الدمية المتحركة.

ارتجفت هانا على الفور. كيف تمكنت من قول ذلك بصوت عال؟

بعد مرور لحظة وبعد أن حدق بها جيداً، علمت هانا أنه عرفها.

- دمية...؟

توقف عن الكلام للحظة، ثم أضاف: «آه!».

بدا لها أن تلك النغمة الهادئة «آه» لها مفعول طن من الحجارة وهي تسقط عليها. شعرت بالغثيان لاسيما الآن عندما أحست أنه لم يتعرف عليها، فهي لا تبدو كما كانت في المرة الأخيرة التي رآها فيها. عاد شعرها البلاتيني إلى طبيعته السابقة المتجعدة بلونه الأشقر الغامق وهو

يتدلى الآن ليصل فقط حتى كتفيها. بالإضافة إلى أنها ترتدي سروال جينز عادياً وقميصاً قطنية فضفاضة قصيرة الكمين. هذه الثياب لا تشبه مطلقاً الثياب الضيقة الجذابة التي كان يختارها لها ميلو. تباً لطبيعتها المتهورة! كان بإمكانها التخلص من هذا اللقاء المزعج معه من دون أن يتذكرها، لو أنها شغلت عقلها بدلاً من لسانها. حسناً! ما حصل قد حصل، والآن عليها أن تنقذ ما يمكنها إنقاذه من كبريائها. رفعت هانا كتفيها، وضمت يديها معاً. حاولت أن تبدو قوية.

- اسمي هانا هودسون، وكنت المديرة المالية في شركتك. قدمت استقالتي في نهاية شهر أيار.

أمال الرجل رأسه قليلاً، وهو يتفحص بدقة معالم وجهها.

- بالطبع! آنسة هودسون.

لفظ اسمها من دون أي أثر للضحك أو السخرية، ثم تابع قائلاً: «أتذكرك جيداً الآن، فمنذ ترقيتك التقينا في عدة اجتماعات معاً».

صححت له قائلة: «مرة أو مرتين فقط. مساعدك الشخصي هو من كان يترأس الاجتماعات المالية».

- تبدين مختلفة.

- أجل، بالطبع. فقد انضممت إلى «د.م.م».

الحيرة التي ظهرت على وجهه لم تفاجئها. سألها: «إلى ماذا؟».

- إنها جمعية الدمى المتحركة المجهولة الهوية.

ابتسم الرجل، وكأنه وجد سخريتها لاذعة: «سامحيني لأنني لم أتعرف عليك بسرعة».

مدّ يده بأصابعها الرشيقة الثابتة. عاشت هانا تجربة مخيفة من التردد. هل يتوقع أن تصافحه وهي تعلم أنه استمتع كثيراً بالسخرية من الدمية المتحركة هو نفسه؟

تابع يقول: «إن أردت الحقيقة، كنت جالسة في المكان غير المناسب، فوجهك مغمور بالظل».

وجهة نظره صحيحة، بشأن جلوسها في الظل. لكن هانا تجاهلت ذلك، تماماً كما تجاهلت يده الممدودة.

- أنت لن تمكث هنا. أليس كذلك؟

عندما ربحت جائزة تخولها قضاء أسبوعين في الفندق القديم، المطل على البحيرة الكبرى في شمال شرقي أوكلاهوما، شعرت هانا بفرح ونشاط لا يوصفان، فهي بحاجة للابتعاد عن شركة جيرك للنفط. هذا بدون ذكر الوقت الذي تحتاجه للشفاء لاستعادة ثقتها بنفسها. خططت كي تستفيد من هذه الرحلة في إعادة تقييم ما ستفعله، وما تريد الوصول إليه في مستقبلها. وجود شخص في الفندق مدرك لسمعتها كامرأة ساذجة في شركة جيرك للنفط، سيضع عائقاً مدمراً أمام شفائها، لا سيما إذا كان اسم هذا الشخص روث جيرك.

بدا روث مستاء وغاضباً وهو يقول: «أنا نزيل في الفندق».

- كم ستبقى هنا؟

- لمدة أسبوعين.

أخبار مريعة! بل هي أسوأ الأخبار بالفعل، فهو سيبقى هنا طوال فترة إقامتها.

- آه، لا! إنها الفترة ذاتها التي سأمكث خلالها هنا.

قال روث باستياء مبالغ فيه: «آه!».

- أمر مزعج حقاً أن تكتشف أن هناك شخصاً ما لا يراك رائعاً. أليس كذلك؟

تمتمت هانا متابعة: «حاول أن ترى الأمور من وجهة نظري، وأنا متأكدة من أنك ستفهم لماذا أشعر بالانزعاج لوجودك هنا».

حملت نبرة صوته فقدان الصبر وهو يقول: «لا، في الواقع».

قالت: «أنا هنا لأبتعد عن أي شيء يذكرني بـ... بـ...».

رفعت ذراعيها، ومدتهما أمامها متابعة: «... أنت تعلم».

كرر روث ما قاله سابقاً: «لا، في الواقع».

استدارت هانا لتبتعد قائلة: «آه! من فضلك. أنت تعلم لماذا غادرت شركة جيرك للنفط».

- افترضت أنك حصلت على عرض عمل أفضل.

سألته والسخرية واضحة في نبرة صوتها: «أهذا ما افترضته؟ حسناً! افتراضك خاطئ».

لم يقل شيئاً للحظة.

- إذاً، لماذا...؟

قاطعته على الفور: «لا تجرؤ وتسألني لما غادرت».

رمت هانا بنفسها بقوة على المقعد الحجري، وسرعان ما كشرت بسبب الألم الذي شعرت به في ظهرها.

- لكنك تبدين غاضبة، وأنا أعتقد...

سألته بغضب صارخ: «أأنت تعتقد؟ إن كنت لا تمانع، أنا لست بمزاج يسمح لي بالتحدث إليك».

قال روث جيرك بنبرة هادئة: «يمكنك أن تعذريني إذاً؟».

ضغطت هانا بأصابعها على حافة المقعد، وحدقت أمامها مباشرة، ناظرة إلى الفراغ. إن لم تستجب له، فلا بد أنه سيفهم، مع أنه بارد وجامد مثل صخر الغرانيت الذي تجلس عليه. قال روث وكلماته تنضح بالسخرية: «سعدت بلقائك، آنسة هودسون».

أرادت أن تصرخ به، لكنها تمكنت من إبقاء فمها مغلقاً. لم تشعر ولو بقليل من الرضا، لكنها تريده أن يرحل، وهذا لن يحدث إذا استمرت في تبادل الحديث معه. بدأت بالعد حتى العشرة لتهدأ فعلاً. واحد، إثنان، ثلاثة... لكنها استدارت فجأة قائلة: «حسناً! لتفهم الأمر فعلاً، أنا لست دمية متحركة بيد أي رجل. بعد سماع ميلو يتبجح بذلك في المكتب، ويصفني بهذه الطريقة، ومعرفتي بأن هناك من يوافقه الرأي...».

أرادت القول «كما فعلت» لكنها كانت متوترة لدرجة أنها تشك

بقدرتها على الاعتراف بذلك، وهكذا أكملت: «... من الطبيعي ألا أستطيع البقاء في شركة جيرك للنفط في النهاية».

فات الأوان! تمنت هانا لو أنها لم تبح بما باحت به للتو.

بدأ روث بالتحرك نحو الفندق، لكنه توقف بسبب انفجارها بالكلام. للحظة بدا متفاجئاً، ثم انفجر بالضحك من أعماق حنجرته.

أهو يضحك منها من جديد؟ حسناً! إن كان يريد الحرب، فسوف يحصل عليها.

- لديك حس مشوه وغريب للضحك، سيد جيرك.

هز روث رأسه وعلق: «لا بد أنك تمزحين!».

بدا كأنه يستمتع بما يجري بطريقة ما. أتراه يستمتع، وهي تكاد تحترق من الغيظ والغضب؟

قالت: «لا، على الإطلاق».

علمت أن خديها يتوهجان بلون أحمر قانٍ، فشعرت بالامتنان لأن الظلام يسود المكان. نهضت على الفور وهي تتابع: «من الواضح أنك تستمتع بإذلالي».

بدأ روث بالكلام، لكنها رفعت يدها لتمنعه من التحدث: «كفى! رأيك لا يهمني. فقط، ارحل».

أدركت من خلال تلاعب الضوء والظل على وجهه، أنه ضغط بقوة على أسنانه. بعد لحظة معبرة من الصمت، هز رأسه بقوة، ورفع عينيه عن عينيها، ثم تابع سيره. راقبت هانا رحيله، وسرعان ما أدركت ما الذي تفعله، فاستدارت بسرعة. بعد مرور عدة دقائق، تمكنت من استعادة هدوئها. رفعت نظرها نحو النافذة الدائرية. لم يعد القمر مطلاً من وسطها، بل أصبح منحرفاً عند زاويتها. شعرت كأنها منحرفة مثله تماماً.

نظرت ثانية إلى الفندق، فرأت عن بعد خيال روث جيرك يختفي خلف زاوية الشرفة الأمامية. أغمضت عينيها كي تستعيد قوتها

وتصميمها السابقين، فتنفست بعمق هواء الليل النقي البارد.

همست: «حسناً، هانا! من أجل تحقيق شفائك، ابقي بعيدة عن...».

توقفت الكلمات على شفتيها، فتابعت بصمت: «...عن المتفاخر، المغرور، المزعج روث جيرك».

* * *

سار روث مبتعداً عن هانا وهو يشعر كأنه ممزق. بالطبع! هذا ما كان يشعر به عندما ذهب ليتمشى، لكن مواجهته القصيرة مع المرأة على المقعد تركته ليس فقط منزعجاً بل مرتبكاً أيضاً. هو ليس بحاجة إلى قارئة أفكار ليعلم أنها تكرهه، لكنه لا يعرف السبب. لقد تحدث إليها خلال الاجتماعات في مناسبات عدة، أو هز رأسه بالتحية عندما كانا يلتقيان في المصعد في بعض الأحيان، لكنه لم يقل أي شيء يزعجها، فكيف بما يدعوها للاستقالة. وبالتأكيد، هو لم يكن يضحك منها في الخارج. هو ببساطة لم يصدق أنها تخلت عن عملها بسبب ما قاله ميلو، فالرجل محام ماهر، لكن روث يجده متفاخراً ومتبجحاً من الناحية الشخصية. لو أعطته الآنسة هودسون أقل فرصة لقال لها ذلك، لكن من الواضح أن رأيه غير مرحب به تماماً كحضوره.

تمتم قائلاً: «كفى، جيرك! لديك ما يكفي من المشاكل».

صعد درج الفندق الموصل إلى الشرفة الأمامية الفخمة، وسار على الأرض الخشبية نحو باب من الشباك. إنه باب مختلف عن ذلك الذي يتذكره منذ أيام شبابه، عندما كان هذا المنزل منزل عائلته، لكنه يحدث الصرير نفسه عندما يفتح. أما الباب الخشبي فما زال هناك مع التنوءات الواضحة فيه. تعرف روث عليه، مع أنه مطلي باللون الأبيض بدلاً من اللون الأخضر المشرق الذي يتذكره. وقف هادئاً وهو يضع يده على مقبض الباب المصنوع من النحاس الأصفر. شكله البيضاوي ما زال مألوفاً لديه، إلا أنه بدا أصغر مما يعهده. افترض أنه يشعر بذلك لأنه

كان في العاشرة من عمره فقط عندما انتقلت عائلته من هذا المنزل، الذي كان في البداية منزلاً لكاهن المعبد القديم.

بني هذا المنزل القديم منذ أكثر من قرن، لكن بناءه قوي. عندما كان روث يعيش هنا، كانت الأرض المحيطة بالمنزل عبارة عن مزرعة دجاج كبيرة. بعد وفاة والده، انتقل برفقة أمه وأخته غرايس إلى عاصمة أوكلاهوما، حيث عملت أمه سكرتيرة. لم يرجع روث يوماً إلى منزل طفولته حتى هذا اليوم، عندما اتخذ قراره المفاجئ بالابتعاد عن عالم التنافس القذر، والبحث عن جذوره، فهو لم يعد قادراً على تجنب مواجهة الصراع المتنامي في أعماقه، والذي يؤرقه ويعذب روحه. مهما كان نجاحه لامعاً وكبيراً -كما يبدو في ظاهر الأمر- فهو ليس رجلاً سعيداً. شعر روث بالرغبة في التحرر من هذا الوهم الكبير بعد فشل زواجه ووفاة ابنه البالغ من العمر شهراً واحداً، فقد انهار زواجه المتأرجح بعد فترة قصيرة من وفاة طفله. حدث ذلك منذ ست سنوات، ومنذ ذلك الوقت، أغلق على قلبه نهائياً، وأغرق نفسه في العمل.

بالنسبة إلى زملائه، يبدو روث رجلاً محظوظاً جداً، فالجميع يرمقونه بنظرات الحسد، نظراً لثرائه ولحياة العزوبية المليئة بالنساء الجميلات. لكنه في الحقيقة، يعيش حياة بائسة. في لحظة من لحظات الضعف والاحساس بالشوق إلى مكان ولادته، رغب في البحث عن منزل عائلته، الذي هو الآن فندق القمر الأزرق. أمل أن يتمكن من استعادة ذكريات أوقات مضت، قبل أن تصبح حياته سلسلة متتالية من العمل لأربع وعشرين ساعة طوال الأيام السبعة.

اتكأ روث على الباب، وهو متعب حتى عظامه. إذا عاد بالزمن بقدر ما يتذكر، فقد حصل على كل شيء سعى إليه. مع ذلك -سواء كانت تلك غلطته أم لا- فقد خسر أكثر ما هو غالٍ لديه: زوجته وابنه. كل ما يملكه من مال، وسلطة، ونجاح، كلها تبدو باهتة ولا قيمة لها بالمقارنة مع العائلة.

عاد روث إلى فندق القمر الأزرق ليستعيد حيوية زمن الصبا. هذا ما خطط للقيام به. وقف مستقيماً، وتنفس بعمق. تباً لهذا الاحساس القوي بالشفقة على النفس! أدار المقبض ودخل إلى الفندق.

على الجدران عُلقت قطع من السجاد الشرقي القديم، ورسومات بالزيت. هناك أيضاً قطع فنية قديمة وحديثة تظهر موهبة واضحة، لكن بعضها هو مجرد بقع ملطخة تظهر بشاعة فائقة.

فندق القمر الأزرق ليس من نوع الفنادق الفخمة الذي اعتاد روث على ارتيادها. لكنه لم يأتِ إلى هنا من أجل تمضية عطلة ترفيهية أو رحلة رومنسية مع صديقة لعوب. هذا منزل أحلامه قبل أن تتحطم. هو لا يعلم إن كان قادراً على تحقيق ما يتمناه، لكنه مصر على تمضية هذين الأسبوعين محاولاً إيجاد طريقة لإصلاح حياته المبعثرة.

- ماذا؟ مرحباً، سيد... آه...!

سمع صوتاً نسائياً ضعيفاً، وعلم على الفور أنه صوت صاحبة الفندق.

استدار نحو صاحبة الصوت، وقال: «جيرك. روث جيرك».

قطعت المرأة العجوز السمينة الردهة باتجاهه. رأى روث وراءها حيواناً هجيناً رمادي اللون بحجم هرة ضخمة. قالت: «آه، بالطبع! اعتقدت أنك ذهبت للنوم».

الردهة التي خرجت منها السيدة مضاءة بمصباح وحيد، يبدو نوره باهتاً لشدة قدمه، وهو يلقي ضوءه على المفروشات القديمة. من الواضح أن هذا الفندق شهد أياماً أفضل في ما مضى.

ابتسم روث ابتسامته المعهودة، وعلق: «مرحباً، سيدة بترسون!».

نظر إلى ساعة يده، إنها تشير إلى منتصف الليل تقريباً. تابع قائلاً: «أما زلت مستيقظة حتى هذه الساعة المتأخرة؟».

- آه! هناك الكثير من العمل، سيد جونسون.

صحح لها: «جيرك».

- أجل. أجل بالتأكيد.

قالت ذلك، فيما بدت منشغلة الذهن. إنها قصيرة القامة، وترتدي فستاناً أخضر مجعداً ومئزراً أبيض.

- هل كنت في الخارج؟

هز روث رأسه، وأجاب: «أهناك خطب ما؟».

- لا أعلم. هل رأيت امرأة في الخارج هناك... في الحديقة في خراب المعبد، ربما؟

- أجل. هل تبحثين عنها؟

شعر بشيء ما يلمس ساقه. نظر إلى الأسفل ليجد أن الحيوان يشمه، فتراجع خطوة إلى الوراء. بدا كأن الكلب فهم الإشارة، أو أنه فقد اهتمامه به، لأنه عاد ليقف بجانب المرأة.

لم تتبدد ملامح القلق من وجه السيدة بترسون وهي تقول: «أرسلتها إلى هناك. أقصد... أنت لم تقترب منها. أليس كذلك؟».

ما هذا السؤال الغريب؟

- في الواقع، اقتربت منها، وتحدثنا لبعض الوقت.

- آه، يا إلهي!

ضمت المرأة يديها إلى صدرها، وهي تتابع: «أتعني أنك وقفت معها هناك تحت ضوء القمر؟».

هز روث رأسه إيجاباً، وهو يشعر بالاستغراب من سؤال المرأة.

صاحت المرأة: «آه، لا!».

أجفل صياحها الكلب، فبدأ بالنباح. أسكتته صاحبته من دون أن تنظر إليه قائلة: «صه، ميتشي!».

مررت يديها الاثنتين عبر شعرها القصير الفضي اللون.

- آه! كل ما قمت به، وكل مخططاتي، ذهبت أدراج الرياح.

ضغط روث على أسنانه بقوة. ما الذي يجري هنا بحق السماء؟ وصل إلى الفندق منذ أقل من ساعتين، وضع ثيابه في الخزانة وخرج

للتنزه قليلاً، وها هو يعاني من مواجهة امرأتين منزعجتين منه. قال: «صديقتك في الحديقة لم تكن سعيدة لوجودي هناك أيضاً، هل يمكنك أن تشرحي لي أين الخطأ في محادثتي لها؟».

رددت المرأة، فيما بدت نبرة صوتها حزينة: «الخطأ؟ كلها خاطئة!».

نظرت نحو الحديقة، وتابعت: «الآن، أنت وهي... آه! الأمور سارت على نحو خاطئ جداً».

سحبت منديلاً مجعداً من جيب مئزرها، وضغطت به على شفتيها. سألها: «ما هي تلك الأمور السيئة؟».

مسحت المرأة أنفها، وأعادت المنديل إلى جيب مئزرها، ثم رفعت عينيها إليه. بدت كأنها تحاول أن تستجمع رباطة جأشها قبل أن تقول: «آسفة على تصرفي، سيد جونسون».

- اسمي جيرك، روث جيرك.

هزت رأسها وقالت: «أجل. أجل».

بدت مشتتة الذهن. مررت يديها على شعرها، وأضافت: «اعذرني! أنا امرأة عجوز لديها خيال جامح، أو أمنية كما يقال، بأن تزين حياة شخصين مميزين. و... حسناً! بسببك، تحطم كل شيء على صخور سوء الحظ».

حاولت أن تبتسم قبل أن تكمل: «تلك ليست غلطتك، فأنت لم تكن تعلم».

سألها روث: «لم أكن أعلم بماذا؟».

يا إلهي! يبدو أنه حطم آمال هذه المرأة، لدرجة أنها تكاد تبكي. كيف يمكن لذلك أن يحدث، ببساطة لأنه تحدث مع هانا هودسون؟

- لم تكن تعلم بشأن القمر الأزرق، وبشأن...

هزت رأسها، وبدت عيناها البنيتان حزينتين خلف النظارتين. بدت غير قادرة على إخفاء حزنها وهي تتمتم معتذرة: «أنا واثقة أنك وجدتها

لطيفة جداً».

فاجأته ملاحظتها تلك. فكر بأن يقول لها إن مزاجها لم يترك له أي خيار ليجدها كذلك، مع أنه يجدها جذابة. بدلاً من ذلك سألها: «لماذا؟».

قالت بحزن: «لأن هذا ما يجب أن تشعر به، فالقدر قال كلمته، عزيزي».

لم تكن لديه أية فكرة عما قصدته بقولها، فسألها عن ذلك لكنها لم ترغب في الافصاح أكثر.

- عندما يأتي الشريف، هل تمانع أن تخبره أنه تأخر كثيراً؟

- الشريف؟ تأخر على ماذا؟

بذلت المرأة بعض المجهود لتبدو ملامح وجهها سعيدة وهي تجيب: «كان من المفترض أن يأتي إلى هنا منذ ساعة تقريباً. عندما يأتي اسأله لماذا تأخر. اسمه ديكون فانس. إنه شخص عزيز فعلاً. هو أرمل في الخامسة والثلاثين من عمره».

استدارت، وتنهدت بحزن قبل أن تكمل: «أمر محزن للغاية. لكن من أنا لأعارض السيد القدر؟».

أدارت ظهرها لروث، وتمايلت وهي تسير عبر قاعة الاستقبال نحو آخر المنزل وهي تقول: «عمت مساء، سيد جونسون. تعال ميتشي!».

ما الذي قالته هذه المرأة عن معارضة السيد القدر؟ و... إن الشريف تأخر كثيراً؟ على ماذا؟ وما هو السوء الذي أحدثه بالتحدث مع الغاضبة الآنسة هودسون؟

تمتم: «ما الذي يجري هنا بحق السماء؟».

بعد مرور لحظة واحدة سمع صوت باب يغلق. من الواضح أن صاحبة الفندق أصبحت الآن في غرفتها.

رن جرس الهاتف قربه، فأجفل. هز روث رأسه بانزعاج. من الواضح أن أعصابه منهارة، وحتى الآن بقاؤه في الفندق لم يساعد

وضعه النفسي مطلقاً. سار نحو مكتب الاستقبال، الذي كان في السابق خزانة كبيرة. وأمسك بسرعة بسماعة الهاتف: «جيرك يتحدث».

سأل الرجل على الطرف الثاني من الاتصال: «ماذا؟».

شعر روث أنه أحمق. قال: «أقصد، فندق القمر الأزرق».

- من أنت؟

لم يستمتع روث بهذا الحديث على الهاتف، لذا قال: «من المتحدث؟».

- أنا الشريف ديكون فانس، وأنا أسأل للمرة الثانية: من أنت؟

- آه! الشريف... أنا روث جيرك، نزيل في الفندق. السيدة باترسون ذهبت للنوم، وطلبت مني أن أخبرك أنك تأخرت كثيراً، وأعتقد أنك لست بحاجة لتأتي إلى هنا.

- تأخرت كثيراً؟

شعر روث بالارتياح عندما سمع نبرة الارتباك في صوت الشريف.

- هذا ما قالته، مع أمور أخرى، مثل السيد القدر وآمال محطمة على الصخور. إن أردت الحقيقة...

شعر أن لديه فكرة تحتاج إلى توضيح، فتابع: «...هل تعاني المرأة من داء ما؟».

انفجر الشريف بالضحك من أعماق قلبه.

- ما تعانيه هو مشكلة التطفل والتدخل في ما لا يعنيها. أخبرني، جيرك! هل هناك فتاة شابة جميلة تنزل في الفندق؟

فكر بهانا هودسون، بجسمها النحيل وشعرها الأشقر المتهادي على كتفيها. تذكر عينيها الرماديتين المائلتين إلى الاخضرار، الرائعتي الجمال، وتذكر أول مرة لاحظهما فيها. كانا في المصعد عندما التقت نظراتهما. تفاجأ بالجمال النادر لهاتين العينين لدرجة أنه فقد تسلسل أفكاره للحظة، وهذا أمر لم يحدث معه مطلقاً من قبل، لذا بقيت تلك اللحظة معلقة في ذهنه، كذلك ابتسامتها التي يتذكرها تماماً. إنها حلوة

جداً، ففي كل مرة يراها يراوده شعور أنها تصل مباشرة إلى روحه. لكنها هذه الليلة لم تبتسم له. آه! عليه الإجابة عن سؤال الشريف. إنها جذابة جداً، بالرغم من موقفها الغاضب.

- أجل. هناك امرأة جذابة تنزل في الفندق.

- آه... هاه!

- ما معنى ذلك؟

- هذا يعني أن جون باترسون تخطط لجمعي بها من أجل الزواج. اتصلت بي مدعية وجود سارق يتجول في المكان، قائلة إنها تريدني هناك في الحال. في طريقي إلى هناك أجبرت على إنقاذ مراهقين انقلبت بهما الشاحنة.

ساد الصمت على الهاتف للحظة، ثم تابع الشريف: «اسمع! بلغها اعتذاري، وقل لها إن الواجب له الأولوية دائماً، كما أنني آسف بشأن القمر الأزرق».

- أحقاً؟

لم يفهم روث تماماً ما قاله ديكون في جملته الأخيرة، فسأل: «ماذا عن القمر الأزرق؟».

لكن الأوان فات، فقد أنهى الشريف الاتصال. ما الذي قصده بقوله إنه يشعر بالأسف بشأن القمر الأزرق؟

سأل روث حجرة الاستقبال الفارغة: «هل الجميع مصابون بالجنون في هذا المكان؟».

استدار مبتعداً عن مكتب الاستقبال. شيء ما جعله يشعر بالغضب. أتى إلى هذا الفندق آملاً أن يستمد منه روحاً جديدة من التفاؤل والوضوح، وحتى الآن كل ما استطاع الحصول عليه هو مجموعة من النساء الغاضبات منه.

٢ ـ عودة إلى بلاد الأحلام

تصميم هانا على أن تبقى بعيدة عن المزعج روث جيرك لم يكن بالأمر السهل كما تمنت، لاسيما أنهما يتشاركان غرفة حمام واحدة. بعد ظهر اليوم الذي وصلت فيه، لم تشعر بأي انزعاج من فكرة مشاركة غرفة الحمام مع غرباء، فقد تصورت زوجين عجوزين لطيفين يرغبان في النوم باكراً، أو ربما عروسين منشغلين ببعضهما البعض. في أسوأ كوابيسها لم تتخيل مطلقاً أن شريكها في غرفة الحمام سيكون رئيسها السابق الوسيم الشديد الجاذبية الذي قلل من شأنها. بدأت مشكلتها عندما عادت من نزهتها في منتصف الليل في الحديقة، مرهقة وجاهزة لتمضي وقتاً طويلاً في المغطس. ما إن بدأت بفتح الباب، حتى سمعت رذاذ الماء المنهمر. تباً لهذا الرجل! لماذا لم يستحم خلال تلك الساعة منذ أن تركها بمفردها في الحديقة؟

مع أنها تفضل أن تفكر أن ليس هناك أي شيء مشترك بينها وبين روث، لكنها علمت في صباح اليوم التالي أنهما يتشاركان بأوقات مماثلة للنوم والاستيقاظ وببرنامج عادات النظافة الصحية.

ما إن دخلت إلى غرفة الحمام حتى سمعت طرقاً على الباب. سألت بنبرة متوترة: «ماذا؟».

- هل أنت على وشك الانتهاء؟

أجابت هانا بطريقة مبهمة فهي لا تريد إعطاءه صورة ذهنية عنها: «لا، فأنا أحتاج إلى خمس عشرة دقيقة بعد على الأقل».

ساد الصمت للحظة، ثم قال روث: «هل تمانعين إن دخلت لأحضر

آلة الحلاقة الكهربائية؟».

- بالطبع أمانع، فأنا لست محتشمة.

مرت لحظة قبل أن يتكلم، بعد ذلك قال: «هل يمكنك أن تحتشمي؟ سأحتاج إلى لحظة فقط».

نفد صبرها، فصرخت به: «علينا أن نضع جدولاً كي لا يحدث هذا الأمر دائماً».

قال: «فكرة جيدة. ماذا؟ أتقولين نعم أم لا؟».

- نعم أم لا، بشأن ماذا؟

- بشأن دخول غرفة الحمام؟

أرادت أن تخبره أين يستطيع الذهاب باقتراحه، لكنها قررت عدم المحاولة، فهو سيستمر بالطرق على الباب حتى يحصل على ما يريده. تأوهت بصوت عالٍ، وقالت: «انتظر لحظة فقط».

فتحت قفل الباب الموصل إلى غرفة نومه، ثم أسرعت بالدخول إلى المغطس، وشدت الستارة حولها. أكملت: «حسناً! ادخل، وخذ ما تريده بسرعة».

فتح روث باب غرفته، وقال: «شكراً. أقدر لك ذلك».

- أسرع فقط.

شدت هانا الستارة حولها وهي تشعر بالأمان. نظرت إليه، واتسعت عيناها على الفور: «أنت أيضاً لست محتشماً».

كان على وشك أن يمسك بآلة الحلاقة من درج تحت المغسلة عندما سمعها. جمد مكانه ونظر نحوها. وقف مستقيماً، ثم مدّ ذراعيه إلى الأمام وهو يقول: «بالطبع، أنا محتشم».

كان روث يغطي خصره بمنشفة تصل إلى ما فوق ركبتيه. بدت عضلات صدره وذراعيه قوية. من الواضح أن روث جيرك يملك جسداً رائعاً. لاحظت هانا ذلك بانزعاج.

قالت بنبرة هادئة: «حسناً! لنقل إنك لست محتشماً تماماً».

تغضنت جبهته، كما لو أنها صفعته. قال: «لمعلوماتك آنسة هودسون، للرجال نظرية خاصة بالاحتشام».

- تباهيك بنظريات تخص الرجال لا تهمني، سيد جيرك.

أخرجت هانا ذراعها من داخل الستارة لتقول: «حان الوقت لتخرج».

نظر روث إلى ستارة المغطس التي لفتها حول جسمها بتمعن واضح. عندما أعاد انتباهه إلى وجهها، تأمله بعينين ثاقبتين، ثم قال وهو يشير بإصبعه: «أمر مضحك. أهذه فكرتك عن الاحتشام؟».

شدّت الستارة بقوة أكبر حولها، شاعرة بالانزعاج لكونها في موضع الدفاع.

تابع يقول: «أود لفت انتباهك إلى أن الرسومات الملونة لا تغطي مساحة الستارة كلها، لذا...».

دماغها المسكين احتاج إلى مزيد من الوقت لاستيعاب الحقيقة، هناك أجزاء شفافة في ستارة النايلون: «آه، يا إلهي!».

ابتعدت هانا بسرعة عن الستارة، ووقفت بجوار الجدار وهي تصرخ: «اخرج من هنا».

لن تتمكن مطلقاً من النظر إلى وجه الرجل من جديد، مع أن الأمر كله لم يستغرق عدة ثوانٍ، بدا لها كأنها الأبدية قبل أن يغلق بابه بصفقة قوية. غطست هانا في المياه الباردة وهي ترتجف من الخجل. كيف يمكنها أن تكون غبية بهذا الشكل؟ هل هناك سر لدى روث جيرك، يجعل النساء يفقدن ذكاءهن عندما يدخل إلى المكان؟ مهما يكن السبب، فهذا لا يغير حقيقة أنها تشعر بالاحراج حتى عظامها. ما حصل منذ قليل يؤكد فعلاً ما قيل عنها من قبل: إنها ساذجة.

* * *

صممت على أن تتجنب روث بكل ما لديها من قوة. لكنها أصيبت بخيبة جديدة أثناء الفطور، عندما اكتشفت أنها ستجلس جنباً إلى جنب

مع الرجل. حسناً! على الأقل هي لن تضطر إلى النظر إليه. بإمكانها أن تأكل، أو تبقي فمها مغلقاً، وتترك جون باترسون، روث والنزيلة الأخرى في الفندق يتحدثون ويتسامرون. قررت أن تبقى صامتة، وأن تأكل بسرعة قصوى، ثم تغادر. جلست على المقعد المخصص لها، وركزت على الوجه الكالح للفنانة التي تجلس قبالتها. هزت رأسها بالتحية، فرمقتها المرأة المتوسطة العمر بنظرة من دون أن تجيبها. ظلت تحدق بالمرأة وهي ذات شعر أسود تخالطه شعرات بيضاء، تبعده عن وجهها الصغير بوشاح ملون. إنها ترتدي قميصاً قطنية مبقعة بالألوان، ومع أن هانا لا تستطيع رؤية الجزء السفلي من جسمها، لكنها اعتقدت أنها ترتدي سروال جينز مبقعاً بالألوان ذاتها.

راودها شعور بأن الفنانة ليست محدثة لبقة. على العكس تماماً، هي تعلم أن جون محدثة لبقة ونشيطة جداً. تعرفت هانا على جون من خلال التحدث عبر الإنترنت أثناء تلك الفترة التي شعرت خلالها بأنها ضعيفة وسريعة التأثر، لاسيما بعد تقديم استقالتها. كانت بحاجة إلى سكب أوجاع قلبها، والحديث عبر الإنترنت مع أشخاص مجهولين بدا لها أفضل شيء ممكن. لقاءاتهما العابرة وتعارفهما أثمرا صداقة دائمة، وما لبثت هانا أن ربحت هذه الإجازة المجانية. وإن أرادت قول الصدق، فهي تشك أن تكون قد ربحت هذه الرحلة فعلاً. هي تشعر أنها عمل خير، لاسيما أنها أصبحت تعرف جون بما فيه الكفاية، لتعلم أنها امرأة رقيقة القلب، وتهتم للآخرين بشكل لا حدود له.

على أي حال، مهما كان سبب هذه الجائزة، فقد أتت عبر البريد وهي عبارة عن حجز شخصي للإقامة في فندق القمر الأزرق. في ذلك الوقت كانت هانا حزينة جداً، فكيف لها أن ترفض إقامة مجانية لمدة أسبوعين في فندق يقع على أجمل بحيرة في أوكلاهوما؟

تنهدت بمرارة. لو أن روث جيرك ذهب إلى أي مكان آخر في العالم لقضاء عطلته، لبدت رحلتها مثالية. مدت يدها لتمسك إبريق

القهوة في اللحظة التي أمسك فيها روث بالابريق. تلامست أيديهما، فشعرت هانا بإحساس غريب مربك. سحبت يدها على الفور، وتمتمت: «عفواً!».

- لا داعي.

رفع روث الإبريق وسكب لها فنجاناً، ثم سألها: «أتريدين القشدة؟».

سكب لنفسه فنجاناً قبل أن يمرر الإبريق إلى السيدة باترسون التي جلست للتو.

هزت هانا رأسها، لأنها لم تكن قادرة على الإجابة، فرائحته منعشة مثل رائحة شجر الصندل.

سألها مرة ثانية: «أتريدين القشدة؟».

من الواضح أنه لم يلاحظ حركة رأسها. قالت بقوة تفوق الصوت الطبيعي: «لا!».

التفت إليها كل من جون والفنانة، وبدتا قلقتين. ابتسمت هانا ابتسامة باهتة، شاكرة الله أنها تستطيع التكلم ثانية. كررت بنبرة هادئة، من دون أن تنظر إلى روث: «لا، شكراً لك».

قالت جون: «أحتاج إلى القليل منه. لا أحب تلك الأنواع الخالية من الدسم التي لا طعم لها، فهي لا تلائمني، ولا تلائم ضيوفي».

بعد أن سكبت لنفسها كمية كافية من القشدة، وضعت الإبريق بين طبقها وطبق الفنانة، ثم قطعت قطعة من اللحم المجفف ومالت إلى أسفل الطاولة: «هيا ميتشي! تناول طعامك، ولا تنبح».

قالت الفنانة بصوت أجش: «أنا لا أتناول طعاماً دسماً».

- عزيزتي مونا! أدرك ذلك جيداً. لكنك فنانة، لذا أسامحك على نقطة ضعفك هذه.

نظرت جون إلى وجه المرأة الصغير الخالي من كل زينة، ثم ربتت على يدها الرقيقة، وتابعت: «هل تعرفتم على بعضكم البعض؟».

قال روث: «أنا وهانا تقابلنا من قبل».

قطبت جون جبينها للحظة قصيرة، ثم استعادت ابتسامتها، إلا أنها بدت أقل سروراً مما كانت عليه.

قالت: «أجل. أتذكر ذلك. هذه مونا ناترلي، زائرة دائمة».

ربتت على يد مونا مرة ثانية، وتابعت: «تمكث مونا معي خلال فصل الصيف».

أشارت جون إلى هانا وروث اللذين يجلسان في مواجهة الفنانة، وأكملت: «مونا، هذه هانا هودسون، صديقتي الغالية عبر الإنترنت، وهذا...».

ترددت قبل أن تكمل وهي تنظر إلى روث نظرة انزعاج وضيق من حضوره.

- هذا روس جونسون.

صحح لها روث، وهو يبتسم لمونا: «روث جيرك. أسعدني لقاؤك».

وبخت نفسها قائلة: كيف علمت أنه ابتسم، هانا؟ وعدت نفسك ألا تنظري إلى الرجل، وها أنت تحدقين به. أبعدت نظرها عنه على الفور. تابعت جون: «بالمناسبة روس، هل أوصلت رسالتي إلى الشريف؟».

- اتصل البارحة.

بدت المرأة العجوز منزعجة وهي تسأله: «اتصل... ألم يأت بنفسه؟».

- كان عليه الاستجابة لنداء يتعلق بحادثة سير.

زفرت جون باستياء، وعلقت: «حسناً! هو الخاسر».

- ذكر أمراً غريباً على الهاتف. قال إنه يعتذر بشأن القمر الأزرق.

أعادت جون انتباهها إلى فنجان قهوتها، لكن ما إن ذكر القمر الأزرق حتى نظرت إليه باهتمام، وقالت: «كما قلت، هو الخاسر».

أصر روث على متابعة الحديث: «ماذا قصد بقوله ذاك؟».

نظرت هانا نحوه، وهي تشعر بالفضول. لاحظت عظام وجهه البارزة، وأنفه المقوس وذقنه المنحوت بدقة واضحة. حدقت بالغمازة الجميلة في خده. فكرت أنها تزيده سحراً...

قالت جون بقسوة: «إن كنت لا تمانع، لا أحبذ الحديث عن هذا الأمر الآن. ربما بعد عدة أيام... عندما أشعر باكتئاب أقل».

تفاجأت هانا من تلك الملاحظة، فنظرت نحو جون. التقت نظرة المرأة العجوز بنظرتها، ثم حولتها نحو روث. تنهدت بصوت عالٍ قائلة: «القدر قال كلمته، لذا سأتراجع».

ربتت على يد روث، وتابعت: «أنا متأكدة أنك رجل رائع، سيد جونسون».

قال روث: «اسم عائلتي جيرك. مهما يكن، شكراً لك».

لم تستطع هانا أن تدرك إن كانت نبرة صوته الجافة هي بسبب إصرار جون على مناداته باسم خاطئ، أم أنه غير راض عن جوابها له. لم تشأ أن تنظر إلى ملامح وجهه لتعلم، فقد حدقت إليه بما فيه الكفاية لفترة الصباح، لذا قررت أن تركز على مضيفتها.

- لماذا أنت محطمة الفؤاد ومكتئبة، جون؟

بدت ابتسامة جون حزينة وهي تقول: «عزيزتي! في أحد الأيام سنجلس، ونتحدث عن كل شيء. أما الآن، فاعذريني. الأمر محزن جداً في هذه اللحظة».

نظرت إلى روث، ثم أعادت نظرتها إلى هانا، وتابعت: «ما أتمناه هو أن يكون السيد القدر مدركاً لما يفعله».

استعادت فرحها وهي تكمل: «والآن، استمتعي بفطورك، فالمزاج النكد يجلب عسر الهضم، وأنا لا أريد أي سوء هضم في فندقي».

- لكن...!

قاطعتها جون: «تناولي طعامك، عزيزتي».

بعدئذٍ أعادت انتباهها إلى الفنانة، وتابعت: «مونا، كيف تجدين الشوفان؟».

- إنه شهي.

فقدت هانا الأمل بأن تضع مونا حداً لأي نقاش. نظرت إلى وجهها الذي يجعلها تبدو وجودية متشردة، ولم تستطع تحديد عمرها، فبشرتها سميكة كأنها أمضت سنوات من عمرها في العراء. قد تكون في الخامسة والثلاثين أو في الخامسة والخمسين. سألتها: «هل ترسمين المناظر الطبيعية؟».

حولت مونا عينيها عن طبق الشوفان أمامها إلى هانا، وأجابت: «أرسم الخواطر والتأملات والأفكار الغامضة».

ثم أغمضت عينيها كأنها تصغي إلى نغمة رائعة من الموسيقى قبل أن تتابع قائلة: «في تلك الأيام السعيدة عندما تتأثر أفكاري بإلهام سماوي، أرسم بولع وحب لا غش أو زيف فيهما».

علقت جون: «أجل. هذا ما تفعله بدقة وعناية فائقتين».

- آه!

أرادت هانا أن تسألها: ما الذي تعنيه بالأفكار الغامضة؟ كيف يمكن للمرء أن يحصل على إلهام سماوي؟ لكنها تذكرت تصميمها على البقاء صامتة. أمسكت شوكتها، وحولت انتباهها إلى الطعام ثانية. يبدو أن مونا حصلت على فطورها الخاص الخالي من الدسم، أما الأطباق الأخرى فامتلأت بالفطائر الغنية بالزبدة وشراب الفاكهة، كما أن هناك شريحة من اللحم المجفف إلى جانب كل طبق. حسناً! بإمكانها أن تتبع نظاماً غذائياً صحياً عندما تعود إلى منزلها. لن يكون الأمر صعباً، لاسيما أنها مفلسة تقريباً.

قالت: «يبدو الفطور شهياً».

ثم تذكرت أنها نوت أن تبقى صامتة.

- ماذا؟ شكراً لك، عزيزتي.

تناولت هانا قضمة من فطيرتها. ربما لو وضعت الطعام في فمها، فلن تتمكن من الثرثرة. تساءلت، لماذا تبدو رائحة روث جيرك عطرة جداً؟ ولماذا على مرفقه أن يحف بذراعها؟ في كل مرة يفعل ذلك، تشعر بارتعاش غريب في صدرها.

- أقدم الكثير من أنواع الفطائر. وهي مميزة ويحبها معظم ضيوفي، تماماً كما هي أطباق البيض، لاسيما تلك المليئة بالتوابل والتي تلمع وترتفع كالشمس.

ما إن قالت «ترتفع» حتى رفعت يديها فوق رأسها لتؤكد ما تقوله. حركتها تلك فاجأت هانا التي تشعر بالكثير من التوتر، فقفزت من مكانها. حصل ذلك ما إن رفعت فنجان قهوتها، ما تسبب بانسكاب القهوة على طبق الفطائر المحلاة الخاص بروث.

- آه، تباً!

هذا ما تحتاج إليه الآن! عليها أن تواجه الشاب، وتعتذر منه لإفسادها فطوره. فعلت ذلك بقدر ما تستطيع من السرعة، إذ بالكاد رفعت نظرها لتحدق به. وضعت فنجانها على الطاولة، ثم دفعت صحنها نحوه وهي تقول: «آسفة. تناول طبقي، فأنا لا أشعر بالجوع».

قال: «لا داعي لذلك».

- أصر على ذلك.

دفعت كرسيها إلى الوراء على نحو مفاجئ لدرجة أنها كادت تسقطه أرضاً، لولا أن روث أمسك به في اللحظة المناسبة. كادت تشعر بنظراته عليها، لكنها أبقت انتباهها على جون وهي تقول: «لا أشعر أنني بخير».

- يا إلهي! هل أنت مريضة؟

حاولت جون أن تدفع بنفسها كي تقف، لكن هانا أحاطت ظهر مقعدها بيديها، وقالت: «لا. اجلسي!».

رفعت يدها لتمنعها من الوقوف، وهي تتابع: «إنه مجرد صداع.

سأتناول حبة أسبرين وأستلقي قليلاً. سأصبح بخير».

بدت مالكة الفندق قلقة وهي تقول لها: «هل أنت متأكدة؟ ليتني لم أتذمر مطلقاً».

ذكرت جون هانا بجدتها المحبوبة التي تضحي بكل حب وفرح من أجل الآخرين. أجبرت نفسها على الابتسام لها بشجاعة، ثم قالت: «أنت لست مسؤولة عن صداعي على الإطلاق. كما أنه لا يمكنني أن أتذكر أنني سمعت أي تذمر. من فضلك، تناولي فطورك».

- حسناً!

قالت جون ذلك، وعادت لتجلس على كرسيها بتردد. لاحظت هانا متأخرة أن روث وقف أيضاً. ما الذي يفعله؟ نظرت إليه... إلى وجهه وعينيه، متخلية عن وعدها بتجاهله بشكل كلي. إنه لا يتسم فقط بعطر مسكر، بل إن مظهره جذاب أيضاً، في تلك القميص الزرقاء بلون السماء وذلك السروال الضيق. لم تره مطلقاً مرتدياً سروال جينز من قبل، حتى في أيام الأسبوع العادية. إنه يبدو رائعاً، وجدياً جداً. قالت: «اجلس. وتناول فطورك».

شعرت بالانزعاج لأنها لم تستطع أن تفي بوعدها لنفسها، أما الأسوأ من ذلك فهو أنها تجده رائعاً.

لم يقل روث شيئاً. هي متأكدة أنه يشك بتذرعها بالصداع. ماذا لو كان كذلك؟ لا يعنيه البتة إن رغبت في الكذب بشأن الصداع.

قالت: «اعذروني، جميعاً».

خرجت من غرفة الطعام إلى قاعة الاستقبال، ثم صعدت الدرج. بعد مرور ساعة، فكرت هانا بمغادرة الغرفة. ربما من الأفضل أن تفعل ذلك، فلا شك أن الفطور انتهى الآن، وروث منشغل بما أتى إلى الفندق للقيام به كصيد السمك، أو التنزه بالقارب، أو جعل الناس يشعرون بأنهم أقل منه خبرة ووسامة. نهضت عن سريرها، وسارت نحو باب الشرفة. نظرت إلى كهف صغير على بعد مئة قدم من منزلق مغطى

بالأشجار.

من بين الأغصان اعتقدت أنها رأت قارباً شراعياً. فتحت هانا الباب الزجاجي، وهي تشعر بتحسن في مزاجها. تنفست بعمق الهواء المنعش البارد. لابد أن النهار سيصبح حاراً، فحزيران ليس شهراً بارداً، لكن تموز في أوكلاهوما حار جداً.

طرقة على الباب أنهت مزاجها، فقد تعرفت فوراً على صاحب تلك الطرقة القوية. لابد أنه روث جيرك. أغمضت هانا عينيها، تنشقت من جديد ذلك الهواء الريفي المنعش النظيف. قالت: «ماذا تريد الآن؟».

- كيف تشعرين؟

أرادت أن تخبره الحقيقة، فتقول له إنها تشعر بالاحباط، وإنه مسؤول عن جزء كبير من إحباطها، لكنها قالت: «إن كنت تقصد الصداع، فأنا بخير».

- هل أستطيع الدخول؟

هي لا تريد أن تبقى بمفردها معه، لاسيما في غرفة نومها، لذا قررت الكذب: «أنا لست محتشمة».

أجفلت ما إن سمعت ما قالته. ألم تستطع التفكير بأي شيء آخر؟ أما كان من الأفضل قول الحقيقة: كنت أبكي، وهذه نتيجة مباشرة لعدم الاحساس بالأمان بسبب رأيك بي، فأنت تعتبرني ساذجة وغبية. لطالما حملت لروث الكثير من الاحترام والإعجاب أثناء عملها في شركة جيرك للنفط. ومعرفتها أنه هو بالتحديد يعتقد أنها ساذجة، شكل عقبة كبيرة أمام ثقتها بنفسها.

صاح روث قائلاً: «هل يمكننا التحدث ونحن نقف إلى جانب واحد من الباب؟».

- ما الذي تريده؟

- التحدث إليك.

- هل الأمر ضروري؟

مضت نصف دقيقة من الصمت قبل أن يقول: «أحتاج فقط إلى لحظة. من فضلك، افتحي الباب».

شعرت هانا أنها غبية، وأنها تتصرف كالأطفال. هل تجبن النساء المستقلات القويات؟ لا! رفعت كتفيها بكبرياء. هي ليست جبانة.

- آه! انتظر لحظة.

اسرعت نحو طاولة الزينة القديمة. أمسكت منديلاً ورقياً. مسحت دموعها وأنفها. سحبت علبة التزيين من الدرج الأول، ووضعت قليلاً من المساحيق على أنفها وخديها.

- إنني أرتدي ثيابي.

أغلقت الدرج، وألقت نظرة سريعة على صورتها في المرآة. التمويه بالمساحيق أخفى احمرار أنفها، فبدت متماسكة وقوية. حسناً! روث هو مجرد رئيس سابق لها. فلماذا عليها أن تهتم لرأيه؟

فتحت الباب مصممة على اتخاذ موقف رسمي هادئ، فهو ووجهة نظره لا يهمانها مطلقاً. لسوء الحظ، مجرد رؤيته جعلتها تشعر باندفاع الدم في عروقها. إنه يستحق النظر إليه بسبب قامته الطويلة ووسامته الطاغية. بدت ملامح وجهه خالية من أية معلومات لها، لكن حركة بسيطة في جانب وجهه أشارت إلى فقدان صبره. أخيراً تحركت عضلات وجهه لتظهر رسالة لا لبس فيها. قال: «شكراً».

أظهرت هانا سخطها وهي تسأله: «ما الأمر؟».

- سخنت جون لك الفطور في الفرن.

- طلبت منك أن تأكل فطوري ما دمت قد أفسدت فطورك.

- تناولت طبقي، فالقهوة لم تفسده.

قالت: «مهما يكن».

استدارت لتسير إلى شرفتها المفتوحة. فرائحته عطرة جداً، وهي بحاجة إلى جرعة من الهواء الطبيعي النقي. قالت بلطف: «شكراً على ما أبلغتني به».

للحظة، لم يقل روث شيئاً. تمنت أن يكون قد رحل، لكن ساروها شك بأن لا مجال للتخلص منه بهذه السهولة. قال روث: «اعتقدت أننا نستطيع أن نتفق على برنامج ما».

برنامج؟ عمّ تراه يتكلم؟ فجأة تذكرت عما يتكلم. ليس عليها أن تواجهه من جديد فقط، بل عليهما مناقشة برنامج استخدام غرفة الحمام المشتركة بينهما. فكرت بسرعة قبل أن تقول: «النقل، منذ بداية الساعة إلى نصفها الغرفة لك، ومن منتصف الساعة حتى بداية الساعة التالية هي لي. أبقى بعيدة في النصف الأول من أية ساعة، وأنت تبقى بعيداً في النصف الثاني منها. بهذه الطريقة، في أي وقت من النهار أو الليل، سوف يعرف كل منا الوقت المخصص له، وهكذا نتجنب بعضنا في تلك الأوقات. ما رأيك؟».

ضغطت على يديها منتظرة رده. قال روث: «يبدو لي ما قلته جيداً».

ابتلعت هانا غصة، وهي تشعر بالارتياح أكثر مما تستطيع الاعتراف به. قالت: «حسناً! والآن، اخرج من هنا».

بعد لحظة، قال: «اسمعي، آنسة هودسون! لا أدري ما هي مشكلتك معي، لكن إن كنت ترغبين بقليل من الصراحة، أنا لست مهتماً بالبقاء بقربك تماماً كما تشعرين أنت».

حدقت في الفراغ أمامها، وقالت: «حسناً! أنا سعيدة لأن لا أحد منا يريد أية علاقة مهما كانت بالآخر».

أجاب: «الآن، وبعد أن أصبح هذا الأمر واضحاً تماماً، أتمنى لك إقامة سعيدة هنا».

ردت على الفور: «أنا أتمنى لك حياة سعيدة».

ثم أخفضت صوتها، وتابعت: «أيها الأحمق المتفاخر».

استدار روث، وسار مبتعداً عن غرفة هانا وهو يتمتم: «يالك من امرأة مزعجة!».

نزل الدرج نحو قاعة الاستقبال، وعندما أصبح في آخر الغرفة، لم

يدرك ما الذي سيفعله. سار بانزعاج نحو غرفة الطعام، وأمسك بكوب من خزانة جانبية وضع عليها إناء معدني مليء بالقهوة. ملأ فنجانه بالقهوة القوية الشهية الرائحة، ووقف هناك يفكر. كيف سيتمكن من القيام بما جاء فعلاً للقيام به؟ في بدء حياته العملية، أراد أن يصبح بنّاء، ومبدعاً. شركة النفط التي أسسها هي ضربة حظ، لكن قدراته الطبيعية جعلت عمله ناجحاً لدرجة أنه فقد الإحساس والإلهام لطموحه القديم. والآن صراعه الداخلي يكاد يقضي عليه، فهو ضائع بين أحلام شبابه وما أصبح عليه في الواقع. لقاؤه البارحة مع هانا في الحديقة جعل الأمور أكثر سوءاً، لاسيما عندما ذكرت الدمية المتحركة. روث يعلم جيداً ما معنى الدمية المتحركة. حتى في فترة انغلاقه العاطفي بعد طلاقه كانت له علاقات عابثة مع نساء كثيرات. أما زوجته جانيس، التي كانت امرأة جذابة جداً، فلم يفكر يوماً في حياته أنها دمية متحركة.

لطالما وجه إليه الرجال الذين رأوها برفقته نظرات الحسد، وكان يشعر أنه أكثر الرجال حظاً في العالم. أحبها روث حباً مطلقاً أعمى، كما تبين له لاحقاً. بعد مأساة وفاة طفلهما الرضيع، اقترح روث أن يحاولا إنجاب طفل آخر، لكن جانيس رفضت. ما زال روث يشعر بالصدمة لرفضها، بالرغم من مرور تلك السنين. ولادة طفلهما كولين جعلتها تدرك أنها لا تحب الحمل، وأنها لا تريد أن تشوه جسدها مرة ثانية. أما الصدمة الأكبر والأكثر سوءاً فهي حين قالت إن وفاة طفلهما هي أمر مبارك ولو بشكل خفي أو مقنع!

أمر مبارك؟! كلما فكر روث بكلامها غير العقلاني يشعر بالألم والمرض. كيف يمكن أن تكون وفاة أي طفل أمراً مباركاً؟ بدت جانيس عديمة الشفقة وباردة حين راحت تحلل الأمور بمنطق جامد لا إحساس فيه، بينما حزن روث بشكل لا يوصف. قرارها جعله يشعر ليس فقط بخسارة كبرى، بل بالخيانة أيضاً. حدث ذلك عندما رآها أخيراً على حقيقتها بالفعل. إنها عبارة عن مظهر جميل فقط وليس هناك أي شيء

حقيقي فيها على الإطلاق. في تلك اللحظة علم أن زواجهما انتهى، فهو الوحيد الذي شعر بالحزن والفاجعة، الوحيد الذي أراد منزلاً دافئاً مليئاً بالأطفال. ملأته المرارة بسبب رفض جانيس، وفشله في التبصر في العلاقات الشخصية. ذلك جعله يقفل على نفسه نهائياً، ويصبح مهووساً بالعمل، مصمماً على عدم الشعور بأي شيء.

سمع أصواتاً أيقظته من أفكاره المروعة، فرفع رأسه منتبهاً. سمع صوتاً يقول: «مونا، لا تخافي! لن أطلب منك أن تدفعي مقابل إقامتك هنا. لا داعي لهذا القلق».

من الواضح أن هذا صوت جون، وقد ازداد قرباً. قالت مونا: «لكن هذه الرسالة...».

- آه، عزيزتي! من أين حصلت عليها؟

- احتجت إلى ورقة لأكتب عليها قائمة الألوان التي سأطلبها، فوجدتها في سلة المهملات.

- وهذا هو مكانها الصحيح.

قالت مونا بنبرة قلقة: «لكن ذكر فيها أنك مفلسة، وأن من الممكن أن تخسري الفندق».

- صاحب المصرف الذي أتعامل معه رجل عجوز متشائم.

توقفت جون عن متابعة الكلام للحظات، ثم تابعت: «كما أن السيد جونسون يدفع المال لقاء إقامته».

- ماذا بشأن النزيلة الأخرى؟ الفتاة؟

- هانا؟ آه! أرسلت لها إحدى بطاقاتي للإقامة هنا مجاناً لمدة أسبوعين.

أضافت بعد قليل بنبرة غامضة: «لدي خطة لها، فهي امرأة لطيفة وجذابة، كما أنها عاطلة عن العمل. من المؤكد أنني لن أطلب منها أي مال. تماماً كما أنني لن أطلب منك ذلك مطلقاً».

- لكن، إذا استولى المصرف على الفندق...

- ما هذا الكلام السخيف؟ لا تفكري بالأمر أبداً.

سمع صوت نباح الكلب.

- صه ميتشي! والآن، أرأيت ما الذي فعلته؟ يغضب ميتشي عندما أتحدث بنبرة عالية. لنتحدث عن أمور أكثر فرحاً.

- تبديل الموضوع لن يحل المشكلة، جون.

- ليس هناك من مشكلة، مونا. هناك صاحب مصرف مولع بالتفاصيل الدقيقة.

- هذه الرسالة ليست سرداً للتفاصيل. إنها إنذار. ربما يمكنك بيع بعض الرسومات التي قدمتها لك عبر السنين الماضية.

- مونا! أحب رسوماتك، فهي رائعة.... بل خارقة. لكن للأسف، الضيوف والسكان المحليين لا يدركون موهبتك كما أفعل. والآن، لا داعي لتشعري بالاكتئاب. فأنت تعلمين أن أفكارك تضطرب عندما تكونين حزينة أو قلقة.

سمع روث تنهيدتها. لم يرغب بمضايقة جون. إن اكتشفت مضيفته أنه سمع عن مشاكلها المادية سوف تشعر بالانزعاج. حمل كوبه بهدوء، وسار نحو قاعة الاستقبال. جلس على أريكة مزينة بالورود. حدق إلى البحيرة في الخارج من خلال النافذة الواسعة، وهو منتبه إلى أن المرأتين أصبحتا في القاعة.

تراجع روث إلى الوراء وهو يفكر بالمشاكل المالية التي تتعرض لها جون. شعر بإحساس قوي من التعاطف معها. لاشك أنه إحساس مرعب أن يكون الإنسان عجوزاً ولا يشعر بالأمان من الناحية المادية. رأى وسمع بما فيه الكفاية ليعلم أن جون رقيقة العاطفة ومحبة للآخرين، لكن بدون المال الكافي والضروري لن تستطيع أن تبقى كريمة ومعطاءة. إن كان دخلها الوحيد يعتمد على المبلغ الضئيل الذي تطلبه من ضيوفها، فهي بدون أي شك ليست من نساء الأعمال الماهرات. المكان بعيد جداً عن الفخامة، لكنه ما كان ليتفاجأ لو أنها

طلبت منه ضعف المبلغ الذي طلبته، حتى مقابل هذه التجهيزات الكئيبة. البحيرة والمناظر المطلة عليها، تستحق ضعف ما تطلبه.

فكر بما حدث عند الصباح ودخوله إلى غرفة الحمام أثناء وجود هانا في الداخل، فوجد نفسه يبتسم. قال لنفسه، أنت ولد سيء! يجب ألا تستمتع بتلك الذكرى، فقد كانت لحظة مرعبة بالنسبة لها. لكن لا شك أن مشاركتها غرفة الحمام تجعل الإقامة هنا أقل سأماً. لكي يكون صادقاً بالفعل، فإن مشاركتها الغرفة تستحق كل انتظار لنصف الساعة التي سيحرم خلالها من دخولها. شعر بإحساس غريب جعله يتحرك في مقعده. كيف تبدلت أفكاره بشكل جذري من التعاطف مع جون باترسون اللطيفة إلى الغاضبة هانا هودسون؟ كفى! هو لم يأتِ إلى هنا ليحظى بحبيبة، لاسيما أن الآنسة هودسون تظهر فرحاً وسعادة برؤيته تماماً كما تفعل إن اكتشفت وجود أفعى سامة في سريرها.

أجبر نفسه على التفكير بأمور أقل إثارة للفوضى والمشاكل، مثل المشاكل المادية لجون باترسون. من المفترض ألا تعنيه هذه الأمور، إذ لا علاقة له بها، لكن حديث المرأتين ما زال يضايقه. هو يجد جون امرأة لطيفة، بالرغم من أنها غريبة الأطوار، ومع أنه حاول أن يتخلص من عواطفه المتعلقة بالشفقة والتعاطف، إلا أنه يشعر بالأسف عليها. حتى إنه فكر بمد يد المساعدة لها بسرعة، لكنه يعلم أن المرأة فخورة جداً بنفسها، ولا تقبل الإحسان. كما أنها لن تعترف أنها تعاني من مشاكل مادية. إذاً، كيف يمكنه أن يقدم لها المساعدة؟

وقف روث، سار بتمهل بدون هدف نحو الباب الأمامي، ومنه إلى الشرفة الواسعة. بعد مرور عدة دقائق، وجد نفسه على جانب البحيرة المواجهة للفندق، سار عبر الممر الحجري الذي تحيط به أشجار باسقة كالسنديان والجوز، متجهاً نحو الخط الساحلي. ما زال يتذكر تماماً المرات العديدة التي كان يركض فيها حافي القدمين إلى حدود الماء عندما كان طفلاً. وأحياناً يرمي نفسه في الماء غاطساً، متجولاً تحت

المياه، وباحثاً عن أماكن أشد عمقاً وراء الكهف. اليوم باتت البحيرة الكبرى مليئة بالقوارب السريعة من أحجام مختلفة، بالإضافة إلى القوارب الشراعية، والمتجولين على دراجات مزودة بمحركات. لذا فإن السباحة بعيداً في البحيرة أمر فيه الكثير من المجازفة.

مع ذلك، فإن وجود الكهف كحاجز بين جانبي البحيرة، يعطي إحساساً بالخصوصية وملاذاً ثابتاً، تماماً كما كان يشعر في طفولته. لم تملك عائلته أبداً قارباً مزوداً بمحرك، فقد كانت تستعمل قارباً بمجذاف. لهذا لم تكن هناك حاجة لبناء رصيف. تساءل إن كان أحدهم قام ببناء رصيف هناك. غيّر اتجاه سيره من الشاطئ نحو الغابة مقرراً أن يرى ذلك بنفسه.

سار عبر منحدر صخري نحو البحيرة. شعر بأشعة الشمس المشرقة، وبالهواء المنعش الذي يحمل النسائم الباردة القادمة من المياه. أحس بابتهاج لم يشعر به منذ فترة طويلة جداً. وصل إلى صخرة نائتة، واتكأ على شجرة سنديان قديمة. إنه يتذكر هذه الشجرة وهذه الصخرة، فقد قام بالغطس في هذه المياه العميقة آلاف المرات من هذا المكان بالذات. ابتسم لتلك الذكريات. بعد فترة من التفكير الهادئ، بدأت أفكاره تنتج ملاحظات هامة، وترسم له ما يمكن أن يؤمن له مغامرة واعدة. مغامرة لن تفيده وحده، بل يمكنها أن تنهي المشاكل المالية لجون باترسون بشكل رائع ودائم. ازداد حماسه ما إن أصبحت رؤيته للمغامرة أكثر تجسداً في فكره. هذا تماماً ما هو بحاجة إليه: تحرير مبدع لروحه وانعتاق لها. آه! هذا هو السبب الذي دفعه للعودة إلى منزل أحلامه وشبابه.

ضحك روث بصوت عالٍ، وصرخ: «من قال إنك لا تستطيع العودة إلى بلاد الأحلام من جديد؟».

٣ - قدرنا... معاً

رجع روث إلى الفندق وهو يشعر بالسعادة بسبب خطته الجديدة. سيشتري الفندق ويحول هذه الملكية إلى منتجع رائع مع حوض لرسو السفن، ورصيف لتأجير القوارب. أما في الجهة المطلة على البحيرة فسيبني فندقاً يتطاول نحو السماء. جون باترسون لن تقلق مطلقاً بشأن المال بعد الآن. صحيح أن منزلها سوف يهدم، لكنه سيؤمن لها منزلاً جديداً، أنيقاً، وذا استقلالية كجزء من الاتفاق.

وجد روث مضيفته في المطبخ، تضع المئزر حول خصرها استعداداً لتحضير وجبة منتصف النهار. نظر إلى ساعته. إنها العاشرة فقط، وها هي تبدأ بالعمل الشاق لتحضير الغداء. يا للمرأة المسكينة! كم هي محظوظة لأن خطته ستضع حداً للعذاب الذي تقاسيه في إدارة هذا الفندق. أصبحت جون متقدمة في العمر كثيراً لتتمكن من الاستمرار في هذا العمل، بما في ذلك المحافظة على المكان نظيفاً وطهو الطعام للنزلاء. شعر كأنه شخص محب للخير بسبب خطته تلك، فهو لم يشعر بانسجام مع الحياة هكذا منذ أعوام. حسناً! هناك مفاجأة رائعة بانتظار جون باترسون بدون أي شك.

بعد مرور نصف ساعة، انقلب المزاج المتألق لروث، وأظلم بشكل واضح، مع أن روث شرح لها الأمر للمرة الثالثة، موضحاً أن خطته بشأن ممتلكاتها مفيدة جداً لها. صرخت جون: «لا! لا! لا!».

تكوم ميتشي على سجادة قديمة موضوعة في الزاوية، وما لبث أن

جلس متأهباً، وبدأ بالنباح. حركت جون يدها باتجاه الحيوان، فتوقف عن الحركة والنباح. قالت بنبرة أقل حدة: «لن أبيع فندقي أبداً. إنه منزلي. كم مرة عليّ أن أقول لك ذلك، سيد جونسون؟ لن أشعر بالراحة مطلقاً في العيش في بناء مجهز بأحدث التقنيات».

استدارت جون، وبدأت بتقطيع بصلة. راحت يداها الهرمتان تتحركان ببراعة مذهلة فوق لوح خشبي قديم.

اعتاد روث أن تناديه جون باسم روس جونسون، فلم يعلق على الأمر. ما يهمه الآن هو أن يجعلها تواجه الحقائق. قال: «ألا تفهمين؟ إن فقدت الفندق، ووضع المصرف يده عليه، سيباع في سوق العقارات، وعندها أستطيع شراءه بسعر مغر، وستكون تلك صفقة رابحة. لماذا لا تستفيدين من...».

قاطعته جون قائلة: «لا تكن سخيفاً! المصرف لن يأخذ فندقي أبداً. من أين أتتك هذه الفكرة؟».

لم يتعمد روث أبداً الاستماع إلى ذلك الحديث، لذا من الأفضل أن يقول الحقيقة: «سمعت حديثك مع مونا».

استمرت جون في تقطيع البصل إلى قطع صغيرة لعدة لحظات من دون أن تعلق. أخيراً، وضعت السكين جانباً، ونظرت إليه. بدت عيناها كبيرتين من وراء النظارتين، فرأى الألم يلمع فيهما. قالت: «لو كنت مكانك لشعرت بالخجل».

شعر روث كأنه يتلقى التوبيخ من قبل جدته التي توفيت منذ زمن بعيد.

- أعتذر منك، لكن إن نظرت إلى الأمر من ناحية أخرى، فالحادث له علاقة بالقدرة الإلهية. يمكنني مساعدتك بشراء ممتلكاتك، وهكذا سأخلصك من مشاكلك المادية إلى الأبد.

راقب كيف أصبحت عيناها لامعتين، وشعر أنها على وشك البكاء. قالت: «ما تريد القيام به هو أن تأخذ منزلي مني».

– هذا المنزل قديم. سيصبح لديك منزل رائع، حديث، عوضاً عن هذا الطلاء المشقق والأنابيب الصدئة.

شهقت جون، وارتفعت زاويتا شفتيها: «هذا بيتي، وسيبقى كذلك حتى وفاتي. يؤسفني أنك تجده كريهاً وغير مناسب لك».

– ليس هذا ما قصدت قوله.

رفعت يدها لتسكته، قائلة: «اسمعني جيداً! لأنني أريدك أن تفهم...».

لم يعجبه تحول مجرى الحديث، لكنه هز برأسه مدركاً أن لا خيار لديه. قال: «حسناً!».

لكنه أضاف في سره: مهما كانت قصة حياتك مؤثرة، فالوقائع تبقى هي ذاتها. سيتم نزع ملكيتك من الفندق، بغض النظر عما تريدينه، وعن الدموع التي ستذرفينها.

أشارت جون بيدها نحو المعبد المدمر، وقالت: «قابلت زوجي هناك... في تلك الحديقة. كنت في الحادية والعشرين من عمري، وكنت امرأة مستقلة بما للكلمة من معنى».

وأضاءت وجهها ابتسامة وهي تتذكر: «يومها تجولت في الطبيعة، وتأثرت جداً بجمال المناظر الخلابة هنا، لكنني فقدت أثر الطريق. تأخر الوقت كثيراً، لكن الليلة بدت رائعة وجميلة. منذ خمسين سنة، لم يكن هناك أي أثر للعمران كما هو الحال الآن. وكان من الممكن أن أتجول لأيام قبل أن أصادف أي إنسان في المنطقة كلها».

بدا كأنها تنظر إلى البعيد، وهي تتذكر أياماً أفضل وأكثر سعادة. تابعت تقول: «... عند منتصف الليل تقريباً، وصلت إلى هذا المنزل النائي. وبما أن الوقت متأخر، لم أرغب في إزعاج أصحاب المنزل، لذلك جلست على مقعد حجري بين خرائب المعبد. عندما رفعت نظري إلى السماء، رأيت بدراً مكتملاً يطل من وسط نافذة شبه دائرية في جدار المعبد. أصابني الذهول حتى إنني لم أسمع حركة اقتراب رجل من

المكان. وقف الرجل ورائي مباشرة، وتكلم، ولن أنسى مطلقاً ما قاله. قال: «يا له من مشهد استثنائي! هذا يحدث مرة واحدة في العمر فقط». بدت نبرة صوته ناعمة ومنخفضة، كأنها صوت ملاك. تفاجأت بالطبع، لكنني لم أشعر ولو للحظة واحدة بالخوف. استدرت نحوه. وفي ذلك الزمان والمكان، رأيت وجه توأم روحي، دورهام باترسون».

ساد الصمت فجأة، وابتلعت جون غصات لمرات عدة. تابعت بعد قليل: «تزوجنا خلال أسابيع قليلة، وبعد ذلك أبدى دور رغبته في السفر والتجول حول العالم، وبما أنني محبة للمغامرات، وافقت بكل سرور. كان لدى دور ميراث كبير، وهكذا عشنا معاً حياة رائعة وساحرة لمدة أربعين عاماً. منذ تسع سنوات فقدت دور إثر سقوط مروع حيث كنا نتسلق جبال النيبال، ووجدت نفسي ثانية على المقعد الحجري في الحديقة ذاتها. وجودي هناك قدم لي العزاء والسلوان. تحولت ملكية المكان إلى عدد كبير من الناس خلال تلك السنوات، وأصبح مهجوراً ومهدماً. أخيراً اشتريته. كلفني إصلاح المنزل أكثر مما توقعت، ولكي أجعل حياتي أسهل، قررت أن أستقبل نزلاء فيه، لأنني...».

ترددت قليلاً، ونظرت إلى البعيد. بعد لحظة، أعادت انتباهها إليه، وقالت متابعة: «... لأنني، سيد جونسون، أعلم أنني سأبقى هنا حتى نهاية عمري. وبما أنني التقيت حبيبي دورهام في تلك الليلة الاستثنائية تحت ضوء القمر، أطلقت اسم فندق القمر الأزرق على منزلي».

جالت بعينيها على المطبخ، ثم هزت رأسها بعناد وتابعت: «أفضل الموت على أن أبيع منزلي. لن أسمح مطلقاً بهدم هذه الأماكن السحرية الرائعة... مطلقاً».

تمتم روث: «الأماكن السحرية!».

كررت جون: «نعم، سحرية. أؤمن أن سحر القمر هو سر سعادتي مع دورهام، وأنا متأكدة أن أي رجل وامرأة يلتقيان تحت ضوء تلك الظاهرة العجيبة سيعرفان حباً مباركاً كما فعلنا».

قطب روث جبينه، ها قد وجد تفسيراً للغز القمر الأزرق. من الواضح أن السيدة باترسون الرومنسية قصدت أن تجمع الشريف مع هانا هودسون تحت ضوء القمر، وبسبب قوة القمر التي تؤمن بها اعتقدت أنهما سيغرمان ببعضهما. لكن تأخر الشريف، وابتعد القمر عن تلك النافذة الساحرة الجالبة للحظ. وهذا ما سبب حزنها وأسى قلبها عند الفطور. من الواضح أن المرأة تعيش في عالم غريب مضحك.

غرفت جون البصل المقطع ووضعته في قدر فيه زيت مغلي فوق الموقد. قالت: «من فضلك، اعذرني! أنا منشغلة جداً. أنت لا تريد أن يتأخر موعد الغداء، فأنا أقدمه عند الظهر بالتحديد».

ابتسمت له، ثم أشارت بيدها إلى الخارج وهي تظهر من جديد أخلاق المضيفة المرحة. قالت: «اذهب، واستمتع بيومك».

ربتت على خده، فشم روث رائحة البصل القوية وهي تتابع: «ابتسم، عزيزي! أنا لا أسمح أبداً للنزلاء في فندقي أن يصابوا بسوء هضم بسبب الضغط أو القلق. اذهب، واسترخ. هناك أرجوحة على الشرفة الرائعة. أو... بما أنك شاب قوي، ربما من الأفضل أن تسبح قليلاً. لديك متسع من الوقت قبل الغداء».

حدق بها روث غير قادر على الاستيعاب كيف يمكن لأي شخص ألا يدرك أن هذا العرض مرسل من السماء إن لم يكن أعمى. أي شخص لديه ذرة من المنطق كان ليتمسك بعرضه، ويبكي من الفرح، وقد يقبل حذاءه من شدة التأثر، لكن هذه المرأة تتصرف كأنه يحاول شراء مولودها الأول. يا لها من حمقاء!

ابتعدت جون عنه، واختفت في غرفة المؤونة. هز روث رأسه، وسار مغادراً المطبخ. إذا اعتقدت جون باترسون أن نقاشهما قد انتهى، فلا بد أنها معتوهة أكثر مما ظنها.

* * *

واجهت هانا صعوبة في تناول الغداء والعشاء إلى جانب روث. مع أنها تجنبت النظر إلى وجهه، لكنها شعرت بقوة بالتوتر القائم بينهما. في الواقع، شعرت كأن التوتر يتخطاهما ليمتد إلى بقية الموجودين في الغرفة. لكن هذا جنون! ليس لديها الجرأة لتسأل جون أو مونا، كما أن لديها انطباع بأن المرأتين صديقتان منذ زمن بعيد. أما بالنسبة للتوتر بين روث والمرأتين، حسناً! يبدو الأمر مستبعداً أيضاً. تمضي مونا معظم وقتها وراء الجدار المتبقي من المعبد، ترمي الطلاء على قماش اللوحة. بعد ظهر هذا اليوم اكتشفت هانا ذلك رغماً عنها عندما اتجهت بدون قصد منها إلى الجدار القديم من دون أن تفكر بالزيت المتطاير، وأصيبت ببقع من اللون القرمزي. بعد الصدمة الأولى، ضحكت متعجبة من تلك الظروف. السروال القصير والقميص اللذان ترتديهما باهتان وقديمان، لذا بدا أن بعضاً من اللون القرمزي يضفي عليهما لمسة خاصة. أما شعرها فقصة مختلفة تماماً. لحسن حظها أن البرنامج الذي اتفقت عليه مع روث كان لصالحها. بعد أن لطخت مونا رأسها وما يظهر من بشرتها بزيت بزر الكتان، وجدت أنه ما زال لديها الحق باستخدام غرفة الحمام لمدة عشرين دقيقة، وهذا وقت كاف لتستحم وتتخلص من رائحة الزيت القوية.

باستثناء أوقات الغداء والعشاء، عملت هانا على تجنب روث. مع ذلك، لم تستطع النوم. معرفتها أنه يبعد عنها غرفة واحدة جلبت لها الأرق. بعد أن تقلبت في فراشها حتى منتصف الليل، تخلت عن فكرة النوم وقررت أن تغير على البراد، فجلوسها قرب الرجل أثناء تناول الطعام يقطع عليها شهيتها، حتى إنها بالكاد تتناول شيئاً من طعامها. وسارت على رؤوس أصابع قدميها نحو الدرج. عند منتصف المسافة سمعت صوتاً نسائياً قادماً من الردهة، علمت أنه صوت جون باترسون. مع من تراها تتحدث؟

لم تستطع هانا أن تفهم ما تقوله، فهي تتمتم. تابعت سيرها وهي تشعر أن فضولها يزداد. ما إن وصلت إلى القاعة الكبرى، حتى تسللت

نحو ردهة الاستقبال، وهي تشعر بإحساس من الذنب. هي ليست من الأشخاص الذين يسترقون السمع، لكنها ستشعر بالندم إن كان أحدهم منزعجاً وهي تستطيع تقديم المساعدة ولم تفعل. وتفاجأت لرؤية جون جالسة بمفردها على الأريكة. إنها تتحدث. لكن مع من؟ تكور كلبها بجانبها، واضعاً رأسه في حضنها. من الواضح أنها تتحدث مع الحيوان. مررت يدها على ظهر ميتشي، وتابعت: «إنه رجل مزعج جداً. كيف يجرؤ على تهديدي بسرقة منزلي؟».

- من ذا الذي يهددك بسرقة منزلك؟

اندفع السؤال من بين شفتي هانا قبل أن تتمكن من السيطرة على نفسها. رفعت المرأة العجوز يديها إلى صدرها، وصرخت: «يا إلهي! أرعبتني حتى الموت».

شعرت هانا بالضيق، وأسرعت في دخول الغرفة وهي تقول: «أنا آسفة جداً، سيدة باترسون».

التفت حول الأريكة، وربضت بجانب الكلب. وأمسكت بركبتها بحب وهي تتابع: «سمعت صوتاً، وبسبب حبي للاستطلاع أردت التأكد أن كل شيء بخير. ما إن أصبحت على مسافة أتمكن فيها من سماعك، قلت إن هناك شخصاً ما يهددك، فجاءت ردة فعلي سريعة».

شعرت هانا بخديها يتقدان ناراً، لكنها لم تستطع إلا أن تكمل: «هذا عيب في شخصيتي. إنني أنفعل وأتصرف بسرعة عند أول ردة فعل».

للأسف، وبعد مرور سنوات عديدة، ما زالت ترمي بنفسها في المآزق؟. أبعدت يدها عن ركبة جون، وأمسكت بيديها الموضوعتين في حضنها. قالت: «اعذري تطفلي، لكنني فعلاً أرغب في المساعدة، إن كنت أستطيع».

تعافت جون من صدمتها، فابتسمت لهانا، ووضعت يدها الخشنة المتعبة فوق أصابعها، ثم قالت: «أنا أيضاً لدي الكثير من العيوب،

كالتحدث مع نفسي، أو مع ميتشي، أو...».

ترددت قليلاً قبل أن تنظر إلى البعيد وتتابع: «... أو إلى دور، حبيبي. كان حساساً جداً، وقادراً على رؤية الأمور بشكل واضح. بدونه، أشعر أحياناً أنني ضائعة».

وغابت الكلمات عن شفتيها...

شعرت هانا بقلبها يعتصر على المرأة، حتى كادت الدموع تنهمر من عينيها. أهذه العاطفة المفاجئة هي تأثر بالحب العميق الذي ما زالت جون تحمله لرجل شاركته معظم أيام حياتها، أم إنها ببساطة ضغط قوي ناتج عن قلة النوم؟ امتلأت عينا هانا بالدموع، فطرفتهما بسرعة لترى بوضوح. هناك شخص ما يحاول سرقة منزل جون.

- من فضلك! أخبريني، من يهددك؟

أعاد طلب هانا جون من عالمها الخاص الذي تعيش فيه بمفردها. نظرت إلى المرأة الشابة وقالت: «آه! ليس الأمر تماماً كما تعتقدين. قدم الرجل لي عرضاً مغرياً لشراء منزلي وممتلكاتي، وعندما رفضت استمر في ملاحقتي والضغط علي. أخيراً قال لي إنني إن لم أبعه بنفسي، فهو يستطيع الحصول عليه ما إن يضع المصرف يده عليه».

سحبت جون منديلاً من جيب مئزرها، ومسحت أنفها قبل أن تتابع: «وأضاف الإهانة إلى ظلمه، بقوله إن أنابيب المنزل صدئة وتصدر أصواتاً مزعجة و... حسناً! أفضل ألا أفكر بما قاله».

سألت هانا وهي تشعر بالغضب الآن، والتعاطف مع السيدة باترسون: «من؟ من الذي قال هذه الأشياء المزعجة لك؟ فندقك جيد».

هذه ليست الحقيقة، فالمكان بحاجة إلى الكثير من العمل، لكن ليس هذا ما ترغب جون في سماعه الآن.

- ماذا؟ إنه السيد جونسون، بالطبع.

- جونسون؟!

- أجل. الرجل الذي يمكث في الغرفة المجاورة لغرفتك.

روث جيرك! تضاعف غضب هانا. ضغطت على كتفي جون بحب حقيقي، وعلقت: «ذلك الرجل يعتقد أنه من صنف متفوق من البشر».

حاولت هانا أن تشجعها، لكن التعب والارهاق والغضب استنفدت طاقتها. هذا الرجل مرض متنقل.

- رأيه في فندقك لا يستحق التفكير به أو حتى ذكره.

- أتعتقدين ذلك؟

مسحت جون عينيها بمنديلها، وتابعت: «يجب أن أعترف، أنه كان عليّ مؤخراً أن أقوم ببعض التصليحات، لكنني أحاول أن أحافظ على نظافة فندقي ليبقى مكاناً صالحاً للفرح والراحة».

- هذا ما تفعلينه بالضبط.

ما إن قالت هانا ذلك، حتى تنفست جون بعمق، وابتسمت بسعادة. شعرت أن كلماتها المشجعة ساعدت المرأة العجوز بالفعل. حسناً! عليها أن تعلم حقيقة ما يحدث، وإن كان هناك حقاً رهن على العقار، سألت: «هل هناك مشاكل مادية في الفندق؟».

في الواقع، لن يفاجؤها ذلك، فالطلاء الخارجي باهت ومقشر، والأرضية الخشبية بحاجة إلى إعادة ترميم، والأنابيب تصدر أصواتاً في كل مكان في المنزل. أما المفروشات والسجاد وبقية الأثاث فتبدو قديمة ولا تصلح لمن يرغب في تمضية عطلة في منطقة نائية.

- ليس هناك أي أثر للحقيقة في هذا القول.

عادت جون لمداعبة ظهر كلبها، وهي تتابع: «كل ما في الأمر، أن مدير المصرف الذي أتعامل معه شديد القلق».

رفعت كتفيها المتعبتين، وأكملت: «ذلك السيد جونسون استرق السمع إلى حديث خاص جرى بيني وبين مونا. سمعنا نتحدث عن رسالة وصلتني من المصرف، وفي وقت لاحق واجهني، ولاحقني بطريقة غير لائقة. أعلم أنكما متيمان ببعضكما، لكن...».

كررت هانا بذهول: «متيمان؟! هذا أمر مستحيل! أعتقد أنه متفاخر

مغرور، ويعتقد أنه فوق مستوى البشر. لا تدعيه يزعجك».

الآن جاء دور جون لتبدو مذهولة. قالت: «أتقصدين أنكما لستما مغرمين ببعضكما؟».

- بالطبع لا! لابد أنني سأفقد عقلي إن تكلمت معه لمدة خمس دقائق.

أخرجت هانا من فمها صوتاً يدل على الاشمئزاز قبل أن تتابع: «إنه في الواقع آخر شخص على وجه الكرة الأرضية أرغب في رؤيته هنا. وإن أردت الصراحة، مجرد رؤيته تثير غضبي».

يا لها من كذبة! في الواقع، رؤيته لا تثير غضبها، بل تجعل قلبها يخفق في صدرها.

قالت جون: «لا أدري كيف يمكن حدوث ذلك؟».

ركزت هانا انتباهها على جون، وقد أربكها ما سمعته، سألتها: «ماذا تعنين؟».

- لا أفهم كيف أنكما لم تغرما ببعضكما بجنون.

حاولت أن تجد معنى لما قالته جون. هزت رأسها باستغراب، وسألتها: «لماذ بحق السماء... لماذا تعتقدين بما قلته؟».

- لأنكما اغتسلتما معاً بالضوء السحري للقمر الأزرق. هذا قدركما.

كررت هانا: «قدرنا؟!».

هزت جون رأسها، وأجابت: «أجل. حبيبي دور وأنا التقينا بالطريقة نفسها، تحت ضوء القمر الأزرق، وهو يشع من خلال نافذة المعبد القديم. أغرمنا ببعضنا على الفور، وعشنا حياة سعيدة طوال سنين زواجنا».

تنهدت هانا وهي تشعر بالراحة والأمان. المسألة كلها مجرد أوهام رومنسية، ليست موجودة سوى في مخيلة جون. ابتسمت لها هانا بعاطفة صادقة قائلة: «هذه قصة رائعة. لا شك أنك ودور عشتما

بسعادة، لكنني أعتقد أن سعادتكما سببها طبيعتك المحبة الصادقة وليس أشعة القمر المتسللة من خلال فجوة في جدار قديم».

تجعدت جبهة جون كأنها لا تستطيع تقبل تحليل هانا. شعرت هانا بالذنب لأنها قللت من شأن إطلالة القمر الأزرق من نافذة المعبد، فأسرعت تضيف: «ما أقوله هو أنه إذا كان الأمر سحرياً بالنسبة لك، فذلك لا يعني أنه كذلك بالنسبة لكل شاب وفتاة».

بدا كما.لو أن جون تفكر بما سمعته. بعدئذٍ حدقت بهانا بقوة، وسألتها: «هل أنت متأكدة أنك لا تحملين أي مشاعر حارة نحو السيد جونسون، وهو أيضاً لا يكن لك أي عاطفة؟».

عاشت هانا تجربة من الإحساس بالغثيان، فهي لا ترغب بأن تكذب. روث وسيم، ويجعل نبضها يقفز بسرعة ما إن يدخل الغرفة، لكن هذا لا يعني أنها تكن له مشاعر حارة.

- أفضل أن أعانق أفعى سامة.

ولأنها تعرف أن روث جيرك لا يحمل لها أي مشاعر إيجابية، أضافت: «وأشك فعلاً أنني من نوع النساء اللواتي يعجبن السيد جيرك».

- يا للغرابة!

هزت جون رأسها، كأنها تحاول أن تهضم هذه النظرية غير المقنعة. بعد لحظة، نظرت مباشرة إلى عيني هانا، وقالت: «لست مقتنعة بما قلته، لكن إن كان هناك أي احتمال بأن أكون مخطئة، فربما لم يضع شيء في النهاية».

وجدت هانا نفسها حائرة ومرتبكة من جديد. قالت: «ما الذي لم يضع في النهاية؟ لا أفهم».

ابتسمت جون، وبدت فعلاً سعيدة. قالت: «لاشيء. لا شيء على الإطلاق. كل ما في الأمر أنني مجرد امرأة عجوز تثرثر».

رفعت الكلب عن حضنها، ووضعته على السجادة وهي تتابع:

«هيا، ميتشي! حان وقت النوم».

نهضت جون عن الأريكة وقد بدا عليها التعب. نظرت إلى هانا قائلة: «إنني سعيدة لأننا تحدثنا قليلاً، لقد أخرجتني من كآبتي. سأذهب إلى النوم الآن».

قالت هانا: «أنا سعيدة لأجلك، لكن الحديث معك لم يقدم شيئاً لراحة بالي. الوقوع في غرام روث جيرك؟! لابد أن الكوابيس تصنع من هذه الأفكار».

ربتت جون على كتف هانا، وقالت: «أنت فتاة رائعة، ومع أنني أؤمن وأقدر كثيراً سحر القمر الأزرق، لكن هناك جزء صغير في أعماقي يتمنى ألا تكوني أنت والسيد جونسون لبعضكما. فأنت تستحقين...».

تركت الكلمات تموت على شفتيها، ثم استدارت مبتعدة، وسار ميتشي وراءها.

- عمت مساء، عزيزتي!

راقبت هانا جون تخرج من ردهة الاستقبال، لتسير عبر القاعة المضاءة التي تقودها إلى جناحها. بعد مرور عدة لحظات، استيقظت من انبهارها الغريب، وهزت رأسها. سألت الغرفة الفارغة: «أستحق... ماذا؟».

لم يكسر الصمت السائد سوى دقة ساعة الجدار الكبيرة. سارت هانا نحو المدفأة القديمة الفارغة، وما لبثت أن سمعت أنين معدتها.

فيما هي متجهة نحو المطبخ، فكرت بأوهام جون بأنها وروث مقدر لهما أن يقعا في غرام بعضهما البعض. تمتمت: «أجل، صحيح! لابد أنه متحمس للحصول على حبيبة يمكنه أن يشير إليها بكل كبرياء ويقول: أنت ساذجة! وأنا متحمسة لأتعلق بشخص أناني يشعر بالفرح من خلال تهديده العجائز اللطيفات اللواتي لا مأوى لهن بسرقة منازلهن».

توقفت عند مدخل باب المطبخ، ولم تدرك أنها ليست بمفردها. لم

يكن الضوء في الغرفة مضاء، فلم تدرك أن هناك شخص ما في ظلام المطبخ. لم يكن هناك سوى مصباح خافت النور فوق المغسلة، تتركه جون مضاء لمن يرغب من النزلاء في تناول أي طعام من البراد. جلس روث يحدق بها، من أحد المقعدين اللذين تضعهما جون حول طاولة إعداد الطعام.

- مرحباً بك، إن لم تكوني المرأة التي تصاب بالغثيان عند رؤيتي.

شعرت هانا كأنها أصيبت بالدوار بسبب شدة تأثرها بصوته العميق في ذلك الصمت الثقيل، حتى وهو يسخر منها. أما الأسوأ من ذلك فهو رؤية كتفيه العريضتين تحت نور الضوء الخافت. بعد مرور لحظة، استجمعت شتات نفسها، آملة ألاّ يكون قد لاحظ ارتباكها وقلقها.

- لا يفاجئني أنك أصغيت إلى حديثنا الخاص. يبدو أن هذه هي طريقتك في التعامل مع الآخرين.

وضع روث كوبه على الطاولة. قال: «هذا المنزل ليس كبيراً، كما أنكما كنتما تتحدثان بصوت مسموع تماماً».

- بإمكانك أن تعلن عن وجودك.

اتجهت نحو البراد الموضوع في إحدى زوايا المطبخ، ما سمح لها بالنظر إليه من بعيد. أطلقت شتيمة في سرها، وحاولت أن تبقى هادئة وهي تكمل قائلة: «إن كنت لا تعلم كيف تعلن عن وجودك، يمكنك القول: اعذراني! لم أقصد أن أقاطعكما. أو على الأقل يمكنك أن تسعل أو تزفر بصوت عالٍ».

تأملها روث، وقد بدت ملامحه غامضة تصعب قراءتها، ما أثار فضول هانا لمعرفة مزاجه. قال بصوت لا ينم عن أي فرح: «كرهت أن أقاطعك، لاسيما أنك كنت كريمة جداً في تقييمي».

أبعد نظره عن عينيها، ومرر إصبعه على كوب العصير. قال روث مفكراً بصوت عالٍ: «النرَ، ما الذي قلته. مغرور، متفاخر، ويعتقد أنه فوق مستوى البشر».

توقف قليلاً عن الكلام وكأنه يفكر، ثم هز رأسه، وتابع: «أعتقد أن هذا ما قلته، و... آه! لا بد أنك ستفقدين عقلك إن تحدثت معي لمدة خمس دقائق فقط».

أعاد انتباهه إليها، لينظر مباشرة إلى عينيها. رأت هانا عضلة تتحرك في خده وهو يقول: «أتمنى أن تكوني سليمة العقل، آنسة هودسون، وإلا...».

رفع ذراعه ليجعلها ترى ساعته. وهو يتابع: «بما أنني لست راغباً في المغادرة في الحال، بقيت لديك ثلاث دقائق فقط لتبقي بمفردك معي».

حدقت إليه بحقد. حاولت بقوة أن تحافظ على نبرة صوت هادئة وهي تقول: «ما قلته في الواقع هو أنك تظن نفسك أكثر أهمية من سواك».

أدارت ظهرها، وفتحت باب البراد قائلة: «سأبقى في هذا المطبخ بقدر ما أشاء. قلت إنني سأفقد عقلي إن تكلمت معك لمدة خمس دقائق، لكن لا رغبة لدي مطلقاً في التحدث إليك».

لم يعلق روث على ما قالته، لكنها شعرت بعينيه تحفران ثقبين في ظهرها. أصابها الارتجاف بسبب قوة تحديقه، لكنها أمسكت بصينية وضعت عليها ما تبقى من الخبز واللحم، وحملتها إلى الطاولة. عادت إلى البراد لتسكب الحليب، ثم أخرجت كوباً طويلاً من خزانة بقرب المغسلة وملأته بالحليب.

أصبح الصمت مقلقاً ومؤلماً إلى درجة الضعف. شعرت هانا بوهن في يديها، إذ راحتا ترتجفان وتعملان بغير إتقان. أخذت سكيناً من علبة السكاكين، وقطعت قطعة رقيقة من اللحم وضعتها في طبق صغير.

وقفت أمام الطاولة وظهرها مواجه لروث، أخذت قطعةً صغيرة من الخبز، ووضعتها في فمها. مضغت الطعام وابتلعته. تساءلت لماذا لا تشعر بأي مذاق له؟ بعد مرور دقيقة رشفت رشفة من كوب الحليب، فلم

يجعلها ذلك تحس بأي مذاق أيضاً. ما الذي يحدث معها؟ ألا يستطيع جسدها القيام بأعمال أخرى غير الشعور بروث جيرك؟

قال روث: «هذا أمر سيء للغاية».

ارتجفت هانا لعدم توقعها كلامه، لكنها تمكنت من السيطرة على نفسها قبل أن تظهر صرخة كبرى من حلقها. ما الذي يعنيه بقوله هذا، بحق السماء؟ بالرغم من إرادتها، سألته: «ما هو ذلك الأمر السيء؟».

غضبت من نفسها لمجاراته في لعبته، وقررت أن تضع ما تبقى من اللحم والخبز في البراد، فمعدتها ليست بخير. لتخفف من اضطرابها، رشفت رشفة أخرى من الحليب.

- كونك لا تتحدثين معي هو أمر سيء جداً، بما أنه قُدر لنا أن نغرم ببعضنا.

اختنقت هانا بشرابها، فوضعت الكوب بقوة على الطاولة وهي تسعل. ازداد تشنجها لدرجة أنها وجدت نفسها تشهق، وتسعل سعالاً جافاً ومتقطعاً، وضعت يديها على الطاولة طلباً للمعونة.

- هل أنت بخير؟

إما أن دماغها لا يعمل بصورة جيدة، أو أن صوته أصبح أكثر قرباً منها. هزت رأسها، محاولة بقوة الحصول على مزيد من الهواء. لوحت له برعب كي يبتعد، وقالت: «إنني بخير... ابتعد عني».

بعد مرور عدة لحظات، بدأت تتنفس بطريقة أفضل. انحنت لتريح مرفقيها على الطاولة، ومسحت الدموع من عينيها.

- يجب أن تجلسي.

شعرت بحرارة تحيط بذراعها، وبأنها تبتعد عن الطاولة. إنها لا تملك القوة لتقاوم، لذا سمحت لروث بأن يقودها حتى جلست بإعياء واضح. مالت إلى الامام وأسقطت رأسها بين يديها.

- أنا آسف.

تمكنت هانا من سماعه، لكنها عانت مشكلة عدم تصديق أذنيها.

روث جيرك يعتذر! حدقت به، غير راضية عن جلوسه بقربها. لكنها لم تشعر أنها قادرة على الشجار في هذه اللحظة. قالت هامسة بنبرة خشنة: «لابد أنني أهذي. اعتقدت أنني سمعتك تعتذر».

- هذا صحيح.

- حسناً! سأتمسك بما قلته، وأسألك لماذا؟

- لأنني سببت لك الاختناق.

تنفست هانا لتستعيد قوتها، وعلقت: «يجدر بك أن تفعل».

- لكن ذلك لا يغير الوقائع.

تباً لضيق تفكيرها لأنها سمحت له أن يجرها إلى الحديث معه! لكن الفضول سيطر عليها، فسألته: «أي وقائع؟».

- أولاً، أننا أنا وأنت استحمينا في ذلك النور السحري، معاً. وثانياً أنه مقدر لنا أن نكون حبيبين.

هل هذا الهراء الخيالي خارج من فم روث جيرك؟ تراجعت إلى الوراء، وحدقت به. رأت عينيه تلمعان، كأنه يلعب لعبة الهرة والفأر، وهي الفأر في هذه اللعبة. حسناً! هي لن تقبل بأن تلعب دور الفأر معه.

- ها أنا أخبرك الحقائق كما أراها بالتحديد. أولاً، أن القدر أمر يتعلق بالزواج، لكن لا علاقة له...

لماذا تعاني من مشكلة في لفظ كلمة الحب؟ تابعت بسرعة: «...بما تتحدث عنه أنت. ثانياً، أنا لا أعتقد مطلقاً أنك شخص يؤمن بالقدر».

بدا روث قريباً جداً منها. خلف تلك الابتسامة التي وجّهها لها، لمعت أسنانه البيضاء المصفوفة بعناية. ارتعشت هانا بسبب هيئة المراوغة التي ظهرت على ملامحه. سألها: «أحقاً؟».

هاتان العينان تسمرانها، وتشلان حركتها. لم تعد تستطيع التفكير أو التحرك، فقط أخذت تحدق به. إحساس غريب من الخوف والتوقع بدأ يسري في عروقها، وكأنها تنتظر اقتراب عاصفة قوية.

تمتم روث: «الافتراضات... آنسة هودسون... قد تكون خطرة جداً، فبالكاد أنت تعرفينني».

فجأة، أمسكت يده مؤخرة رأسها، جاذبة إياها نحوه. وما لبث أن عانقها بقوة. شعرت بوقاحة تصرفه تسري في عروقها، فعناقه أكثر قوة وسحراً مما تجرؤ على الاعتراف به. حاولت أن تصده، لكنها بعد لحظات قليلة بدأت تذوب بين ذراعيه. لم تعرف يوماً إحساساً قوياً بالحياة كهذا في أعماقها. تفاجأت هانا من شدة تجاوبها معه، متغافلة عن أجراس الإنذار التي أخذت تقرع في رأسها للابتعاد عنه. مالت نحوه، ولفت بذراعيها كتفيه.

تماماً كما بدأ، أنهى روث عناقه فجأة. ولم تعد تشعر بلمسته أو بمداعبته. شعرت كأنها منهكة، معزولة ومحطمة.

خف ضغط يده على رأسها، مع أنه لم يبعدها تماماً. تحركت يده ببطء وانزلقت إلى مؤخرة عنقها، ثم همس: «أنت محقة بشأن أمر واحد فقط. أنا لا أؤمن بالقدر».

انزلقت أصابعه فوق ظهرها وهو يتابع: «لكنني أحب التحدي».

٤ - صباح سعيد

- روث جيرك! أنت شخص يتعذر الدفاع عنه.

قالت هانا ذلك وهي تستعيد هدوءها ببطء بعد ذلك العناق الخاطف. للأسف، جاء تعافيها بطيئاً جداً. في الوقت الذي عادت فيه إلى قدراتها العقلية الطبيعية، وجدت أنه رحل. هل قال شيئاً عن رغبته في الذهاب إلى السباحة؟ هزت رأسها بارتباك، فما تعرفه هو أنه قال شيئاً، وكأنه ذاهب للتجول في المريخ. يبدو أنها فقدت عقلها تماماً. فكرت جدياً في اللحاق به إلى الخارج لتوبخه. كيف يجرؤ على معانقتها كما فعل؟ لم يعانقها أحد من قبل كما عانقها روث جيرك. شدّت بقوة على قبضتيها، منزعجة من ردة فعلها القوية. ما الذي يفعله هذا الرجل بحق السماء؟

سارت مبتعدة عن المطبخ، إلا أنها تذكرت أطباقها الوسخة. ليس من العدل أن تترك هذه الفوضى لجون، فالمرأة لديها ما يكفي من الأعمال. تنهدت هانا بإحباط واستدارت في مكانها، لتعود أدراجها إلى المطبخ. غسلت طبقها والكوب بسرعة، ثم تذكرت كوب العصير الذي استخدمه روث، فاستدارت لتنظر إلى مكانه، وهي تشعر بصراع بين أن تقدم على غسله أو تتركه مكانه ليبدو رمزاً للأنانية وحب الذات. لم يكن الكوب في مكانه على الطاولة كما رأته قبل قليل.

تساءلت هل ابتعد عن الطاولة فغسل الكوب ووضعه مكانه، ثم غادر المنزل ليذهب في جولة حول المريخ، أو ليسبح، فيما كانت هي شبه عمياء بتأثير عناقه، ولم تلاحظ ذلك؟ تأوهت هانا من تلك الفكرة،

www.liromancia.com

ورمت بنفسها على المقعد. لابد أنه يضحك منها من أعماق صدره، بعد أن رآها جامدة كعمود، تحدق في الفراغ بعينين كالزجاج. فكرة أنه تمكن من جعلها تتجاوب مع عناقه بحرارة، ما زالت تمزقها، فهي لا تريده أن يشعر بالرضى لتجاوبها معه.

بغضب متنام، رمت منشفة الأطباق إلى طاولة المناشف.

- عليك أنْ تجد تحدياً آخر، لأنك مهما كنت بارعاً في العناق، فأنت لن تحولني إلى صورة مفككة تحاول تجميعها.

لم تشعر هانا بأن ما تقوله منطقي على أي حال، لكنها فكرت أن الوقت متأخر، فقررت أن تضع اللوم كله على التعب. وسارت مبتعدة عن المطبخ لتتجه إلى الطابق العلوي إلى غرفة نومها.

صعدت إلى سريرها، وتكومت فيه. لم تتمنّ يوماً ألا تحلم أثناء الليل أحلاماً رومنسية. هي لا تريد شيئاً خيالياً أو رومنسياً، لأنها تعلم من سيكون شريكها في الحلم.

* * *

راح روث يسبح كما لو أن أسماك القرش تطارده. سبح بقوة رجل غاضب من نفسه، راغب في التخلص من ذلك الغضب. لعل إرهاق جسده في المياه الباردة السوداء التي لا يضيئها سوى نور القمر، يبرد النار التي أوقدها عناق هانا في أعماقه. السباحة بمفرده أثناء الليل عمل في منتهى الحماقة. قد يمر قارب مزود بمحرك سريع فيقطعه إلى أشلاء. لِمَ يصر على معانقة هانا هودسون؟ إنها تثير غضبه حتى الموت، لاسيما بعد أن سمعها تتحدث عنه، وتصفه بأنه كريه متفاخر. ماذا الذي فعله بحق السماء سوى أنه دفع لها أجراً محترماً تعيش به؟

قرر روث أنه استعمل كل ما لديه من حظ حين تجرأ على السباحة لهذه المسافة البعيدة، فاستدار بسرعة واتجه نحو الشاطئ. ربما يستطيع النوم الآن، بعد أن أرهق نفسه في السباحة. وصل إلى المياه القليلة العمق، فوقف، وسار عبر الماء المسافة المتبقية نحو الشاطئ. أبعد

شعره المبتل بالماء عن عينيه، وحدق نحو الفندق. النور في غرفتها مطفأ، وهذا أمر جيد، فلا رغبة لديه بأن يصادفها أثناء ذهابه إلى النوم. نظر روث إلى ساعته. ما زال لديها خمس دقائق لاستعمال غرفة الحمام قبل أن تصل عقارب الساعة إلى الواحدة.

عندما وصل إلى الشاطئ سقط على ظهره على العشب. عقد أصابعه وراء رأسه، وحدق بالسماء. النجوم تلمع بسلام وأمان، والفوضى التي عاشها في يومه لا أثر لها هناك. ابتسم روث بالرغم من شعوره بالاستياء. لا يهم كم هي حمقاء المرأة العجوز بمعالجتها لمشاكلها المادية، وكم هي ثائرة المرأة الشابة لمجرد رؤيته...

غابت ابتسامته، وتمتم: «وأنت قمت بمعانقتها، أيها الأحمق. أنت تثير غضبها، لكنك عانقتها».

أغمض عينيه محاولاً أن يمحو تلك الذكريات من رأسه، لكن ظل عطرها مسيطراً عليه، يذكره برحيق العسل ودفء الشمس. أطلق روث زفرة وهو يشعر بالاستياء، وسأل نفسه: «أليس لديك ما يكفي من المشاكل، جيرك؟ ما هذا الهراء عن حبك للتحدي؟».

بالطبع، هو يعشق التحدي. لكن لماذا لمّح لها أنه يخطط لإغوائها؟ فالفكرة لم تخطر بباله مطلقاً من قبل. لكنه فجأة بدأ بالتحدث عن حبه للتحدي، وكأن العناق مجرد جولة أولى في خطته لإغوائها.

لف ساقيه فوق بعضهما، وعلى الفور تراءت له صورة لعناق بينه وبين هانا هنا في الخارج، في أمسية لطيفة من أمسيات فصل الصيف. ملأت تلك الصورة مخيلته، فضغط بقوة على أسنانه، وهو يشعر بالاستياء والغضب من نفسه. أجبر نفسه على الجلوس وهو يوبخ ذاته.

وقف روث وحدق من جديد إلى السماء، بكل ما تمثله من سلام وضخامة. تمتم قائلاً:

- عناقك لهانا هودسون ليس الطريقة السليمة لإيجاد الصفاء الداخلي.

توجه نحو الفندق وهو يتطلع إلى الاستحمام ثم إلى النوم لفترة طويلة.

نوم لا وجود لأحلام فيه.

* * *

الرابع من يوليو هو يوم ثلاثاء. لم يشكل الأمر أي فرق لدى هانا، فهي عاطلة عن العمل. وضعت إشارة حول ذلك التاريخ ببساطة على روزنامتها لأنه في الواقع عطلة وطنية. بالنسبة لها هو يوم إضافي تمكنت خلاله من تجنب روث جيرك بنجاح. منذ ذلك العناق في المطبخ، وهي ترفض بإصرار التحدث إليه أثناء تناول الطعام، أو النظر إلى ناحيته. حسناً! نجحت في ذلك معظم الأوقات. إلا أنها أصبحت أكثر تنبهاً للأشياء التي يقوم بها. عندما يبتسم لجون على سبيل المثال، تظهر في خده غمازة ترسل إشعاعات عبر عمودها الفقري. عندها تغضب من نفسها بشدة، لأنها غير قادرة على عدم التفكير به.

هذا المساء، بدا لها تجاهل روث أمراً سهلاً تماماً، لأن ضيفاً جذاباً انضم إليهم على العشاء. إنه الشريف ديكون فانس. وصل عند الساعة السابعة لتناول العشاء ومراقبة الألعاب النارية التي ستطلق في غروف، على بعد اثني عشر ميلاً.

أعلنت جون أن المنظر الأجمل يظهر بوضوح من شرفة غرفتي هانا وروث. شعرت هانا بالرضى في أعماقها لأنها تمكنت من ترتيب غرفتها وإخفاء أغراضها. سمعت اسمها فرفعت نظرها عن طبق العشاء. بدت غارقة في أفكارها، حتى إنها فقدت مجرى الحوار. ابتلعت غصة وهي تشعر بالاحراج، ونظرت حولها، محاولة أن تعرف من الذي يتحدث اليها. مع أنها تعمدت ألا تنظر إلى روث، إلا أنها رأت كل شخص آخر على الطاولة يحدق بها، وخمنت أنه يفعل ذلك هو أيضاً. ابتسمت ابتسامة خجولة، متخلية عن التظاهر بأنها كانت تصغي، وقالت: «آسفة! ماذا؟».

قال الشريف وهو يبتسم ابتسامة ساحرة: «كنت أسأل عن عائلتك».

يا إلهي! إنه جذاب فعلاً، فهو رشيق ووسيم. وجهه مشرق، وعيناه البنيتان تعكسان لون شعره، أما تلك الابتسامة التي تشع بصدق وصداقة فتدل على الإخلاص والتعاطف. ابتسمت له هانا متعمدة، وقالت: «آه! إنني طفلة وحيدة».

اختفت ابتسامتها وهي تكمل: «أما والداي، فهما مطلقان».

بدت تعابير وجه فانس جادة وهو يقول: «يؤسفني ذلك. لابد أن الأمر صعب».

تمكنت من استعادة تعابير وجهها المرحة.

- كنت قد أصبحت كبيرة عندما تطلقا، لكنني تعلمت أمراً هاماً.

سألها فانس: «أحقاً؟ وما هو؟».

- ألا أعتمد على أي رجل في أي شيء.

توقفت هانا عن الضحك، فهذا أمر هام بالنسبة لها.

تجعدت جبهته، وعلق: «أتمنى ألا تكون تلك التجربة قد جعلت رأيك بالرجال سلبياً».

شعرت هانا بعيني روث تنجذبان إليها، فخنقت ارتعاشة كادت تسيطر عليها. قالت بجدية مبالغ بها: «لا. ليس كل الرجال. فقط المسيطرين، والمتكبرين، والمتغطرسين».

أصبحت ملامح ديكون ميالة إلى التفكير والتحليل، مع أن ابتسامته بقيت ساحرة ولطيفة وهو يقول: «أرى أنك فكرت ملياً بالإجابة».

الابتسامة التي وجهتها إليه بدت طبيعية، وهي تقول: «آه! أجل. لاسيما مؤخراً».

قاطعتهما جون، وهي تبدو سعيدة جداً: «هاي! يبدو أنكما منسجمان معاً بشكل واضح، لكن علينا أن ننهي عشاءنا في غضون عشر دقائق، لأن الألعاب النارية ستبدأ قريباً. سنتناول الحلوى بعد ذلك».

توقفت عن الكلام لتمسح شفتيها بمنديلها، قبل أن تتابع: «أعددت

فطيرة باندوري بالتفاح الأحمر».

وجّه ديكون ابتسامة ودودة إلى مضيفته قائلاً: «وهي شهية بالفعل».

مرة أخرى وجدت هانا نفسها منجذبة إلى ابتسامة الشريف. حدسها الأنثوي أعلمها أن اهتمامه بها يتعدى حديثاً مهذباً على العشاء، ولم تدرِ ما هو شعورها حيال ذلك. وسامة الرجل كافية لتجذب أي امرأة، ومن الواضح أنه مواطن صالح، لأن جون باترسون تقدر صداقته. أصبحت هانا تعرف جون بما فيه الكفاية لتثق بحسها القوي بشأن الناس.

أجبرت هانا نفسها على إبعاد نظرها عن ابتسامة ديكون الساحرة. قالت وهي تقطع اللحم: «الدجاج المشوي شهي جداً».

- أحقاً؟ شكراً لك، عزيزتي.

قال روث: «إنه كذلك. لا أعتقد أنني تذوقت أفضل منه».

أبقت هانا نظرها مركزاً على الطبق أمامها.

- إنها أفضل طاهية في المنطقة كلها.

قال ديكون ذلك، ثم تابع: «لماذا تعتقدون أنني أسمح لها بالقيادة بالسرعة القصوى، ولا أفكر مرة بتحرير مخالفة بحقها؟».

غمز هانا، فشعرت هذه الأخيرة بصعوبة في ابتلاع طعامها.

ضحكت جون قائلة: «ديكي! إنك مجامل بالفعل. أنت تعلم أنني لا أخالف القانون مطلقاً».

أبعد ديكون نظرته المرحة عن جون إلى الجهة البعيدة من الطاولة، حيث تجلس هانا عند الزاوية إلى يساره. أخفضت هانا نظرها إلى طعامها. آه! أجل. حدسها الأنثوي لا قيمة له الآن، فديكون فانس مجامل وساخر بدون أي شك. لِمَ التردد بأن تبتسم له بحياء وترمش بجفونها له؟ إنه رجل وسيم، ذكي، وذو شخصية رائعة، كما أنه مميز ولطيف أيضاً. ما هي مشكلتها؟ صوت في رأسها بدأ بالاجابة، لكنها أخرسته من خلال سعال قوي.

سألتها جون: «هل أنت بخير، عزيزتي؟».

أجابت هانا بصوت هادئ: «أجل، أنا بخير».

وضعت جون منديلها، ثم هزت رأسها مشجعة ضيوفها: «والآن، سيداتي سادتي. هل نستطيع الصعود لمراقبة الألعاب النارية؟».

* * *

وقف روث في مكان ما بين شرفته وشرفة هانا، واتكأ على الحاجز الخشبي، أما الباقون فوقفوا بجانب السياج المعدني، وهم يشهقون ويهتفون لرؤية المناظر أمامهم، والتي بدت أكثر جمالاً من خلال انعكاس الأضواء على سطح البحيرة.

قلب روث شفتيه، وأبعد نظره عن الإنفجارات الضوئية في السماء، إلى ظهر هانا. لاحظ كيف يميل جسدها قليلاً نحو الشريف، كما أن إبهام هذا الأخير ويدها يتلامسان وهما يمسكان بسياج الشرفة. وزفر باستياء. سألت جون وهي تستدير: «ماذا؟ هل قلت شيئاً ما روس؟».

لم ينظر روث إليها، بل بقيت عيناه مسمرتين على المسرحية الصغيرة لليدين المزعجتين. تمتم قائلاً: «لا. لم أقل شيئاً».

قالت جون: «يبدو أنك لا تستمتع بالألعاب النارية. لِمَ لا تأتي إلى هنا، قرب السياج؟

قطب جبينه. قال: «أنا بخير هنا».

علقت: «لكنك لا تنظر حتى إلى الأعلى، أنت تنظر إلى ظهر هانا».

هذه المرة رفع روث نظره بالفعل، مندهشاً من وقاحة المرأة، كما استدار كل من هانا وديكون. بدا الشريف متردداً أو ربما حائراً قليلاً، أما هانا فبدت كأنها تشك بما سمعته. شعر روث بالذنب واهتزاز ثقته بنفسه بعد رمي هذا الاتهام مباشرة في وجهه. تباً! هو لم يعد مراهقاً. إنه رجل ناضج وقد تم اتهامه بالنظر إلى ظهر امرأة. كون هانا غير معجبة به فهذا لا يقلل من جمال جسدها الذي يبدو واضحاً في سروال الجينز الذي ترتديه. مع ابتسامة ساخرة، قال روث من دون أن يعتذر:

«أنا رجل، وهي تملك قواماً جميلاً. لذا بإمكانكم أن تحاكموني».

وجّه ابتسامته نحو هانا التي أصبحت ملامحها الآن أكثر غضباً، لاسيما أن عينيها اتسعتا لتظهرا عداوة واضحة له، فيما ظهر الرعب على وجه جون بسبب تصرفه الطائش.

رفع روث كتفيه بلا مبالاة، لكن تصرفه بدا مجرد خدعة زائفة. أعاد انتباهه إلى الألعاب النارية في السماء، وبدلاً من الاستمتاع بالأنوار الغريبة والاستثنائية، فإن جلّ ما شغل باله هو صورة هانا وهي ترمقه بنظرة حاقدة ولاذعة كالنار في الجحيم.

* * *

- إذاً، هل استمتعت بوقتك ليلة البارحة؟

تفاجأت هانا بالسؤال الصريح لجون. استدارت بسرعة وهي تقشر البطاطا لوجبة الغداء. بدأت بمساعدة جون بالأعمال، ليس بسبب إحساسها بالذنب لإقامتها غير المدفوعة، بل لأنها أصبحت تهتم للمرأة العجوز وترغب فعلاً في مساعدتها. سألتها: «ليلة البارحة؟».

إن أفكارها في الواقع منشغلة بروث واهتمامه الوقح بمراقبتها. تمنت لو أنه لم يقل تلك الكلمات، لأنها تحدث في أعماقها رغبات جامحة غير مرغوب بها. يا للغرابة! هذه الأفكار الجامحة ليست من طبيعتها. إنها تمتاز عادة بقدرة قوية للسيطرة على عواطفها وأحاسيسها، لاسيما أنها تملك مشاعر معينة نحو الرجال الفاسدين، لاسيما أولئك الذين لا يرون فيها سوى امرأة جذابة فقط.

أغمضت هانا عينيها. ملاحظة جون تعني بالطبع ديكون، فهو عزيز عليها، ويستحق أفكاراً متعاطفة وحارة. حسناً! لماذا تضيع أفكارها على رجل لا يستحقها؟ بصعوبة تمكنت من الابتسام لمضيفتها، وأجابت: «أجل. ليلة البارحة كانت مميزة جداً».

ابتسمت جون، كأنها حصلت على ما تريده. قالت: «كنت متأكدة من ذلك».

تابعت: «ربما ظاهرة القمر الأزرق لا تؤكد دائماً على اجتماع حبيبين، في النهاية».

قالت هانا موجهة الكلام إلى ذاتها أكثر منه إلى جون: «بالتأكيد، هذا ما أتمناه. فكرة أنني والسيد الهام المتنازل روث جيرك شريكان في الروح أمر سخيف جداً».

وبدأت بتقشير البطاطا بحماسة متجددة.

- إذاً، أنتِ فعلاً معجبة بديكون؟

- بالطبع!

أخذت تقشر بسرعة أكبر. ليتها مجنونة بديكون فانس، فهو يستحق أن تعجب به وتقدره. أصبح ديكون أرمل إثر حادث مأساوي أودى بحياة زوجته، بعد ستة أشهر من زواجه. منذ ذلك الوقت، أي قبل ثماني سنوات، انكب على عمله فقط، وهو بالكاد يخرج برفقة أي فتاة، إذ يبدو أنه لم يتمكن بعد من التخلص من ولائه لحبه الضائع. لكن نظراً إلى ما قالته جون هذا الصباح، بدا ديكون مبتهجاً ومجاملاً على غير عادته ليلة البارحة، وهذا ما أسعد جون كثيراً.

شعرت هانا بالذنب. لماذا تشعر بالانجذاب مؤخراً إلى رجال، ليسوا فقط غير مناسبين لها، بل أيضاً حمقى ومسيطرين وسخفاء؟

وضعت جون يدها على يد المرأة الشابة، لتوقفها عن تقشير البطاطا بهذه السرعة. قالت وهي تضحك: «آه، عزيزتي! هذه لم تعد بطاطا، بل أصبحت حبة بازيلا. ما كان عليّ أن أذكرك بديكون. من الواضح أن ذكراه تمدك بالقوة والطاقة».

أرادت هانا أن تصحح لمضيفتها، كي لا تبني آمالاً فارغة. لكن ابتهاج جون منعها من التحدث. ربما، لو بذلت المزيد من المجهود، بامكانها أن توجه أنظارها نحو من يستحقها، وعندها ستتمكن من تقدير ديكون فانس. قالت معترفة: «الشريف هو أكثر الرجال وسامة بين من قابلتهم في حياتي. روث جيرك متفاخر، أناني وجشع، ولا يمكن

مقارنته بديكون، لذا فإن قصة القمر الأزرق هي من الأمور التي يصعب تصديقها».

- هل أقاطعكما؟

صوت روث سبب الرعب لهانا. بدت جون متحمسة جداً وهي تقول: «لا! بالطبع عزيزي، فأنا وهانا كنا نتسامر فقط».

بدا من الواضح أن عداوتها نحو الرجل الذي هدد بأخذ منزلها قد تراجعت، كما أن الفرح يطل بإشراق من عينيها.

- أجل. هذا ما سمعته.

بدا روث متعباً، وكأنه معتاد على سماع التقريع بشكل دائم وفي العلن. تابع قائلاً: «لا تهتما بي. كل ما في الأمر هو أنني أريد أن أسكب فنجاناً من القهوة لمونا، لكن الابريق فارغ».

ابتسمت جون له، وأجابت: «سكبت آخر ما فيه، لكنني أعددت إبريقاً طازجاً الآن. كم هو لطيف منك أن تهتم بمونا».

لم يجب روث، بل اتجه نحو إبريق القهوة، وملأ الكوب الذي يحمله. بعد أن أعاد الابريق، نظر إلى المرأتين، أو بالاحرى إلى هانا بالتحديد. قال وهو يهز رأسه بلا اكتراث: «صباح سعيد».

إما أنه قادر على إخفاء شعوره بشكل جيد، أو أنه لا يهتم مطلقاً لما تفكر به. هزت رأسها قائلة: «كان سعيداً حتى وقت قريب».

استدارت لتمسك بحبة بطاطا أخرى. وبدأت تعمل باندفاع.

قال روث محدثاً ظهرها: «يا للسخرية! النهار انقلب فجأة وبشكل رئيسي بالنسبة لي».

سمعت وقع قدميه تبتعدان، فعلمت أنه غادر المطبخ. قطبت جبينها، وتوقفت عن تقشير البطاطا. ما الذي قصده بالتحديد عن انقلاب نهاره بشكل رئيسي؟ تمنت الآن لو أنها لم تلبس السروال القصير الذي ترتديه، والذي يظهر قوامها وطول ساقيها. مهما كان ما قصده بالانقلاب المفاجئ، فيداها متشوقتان لتصفعه، أو على الأقل هذا ما تمنت هانا أن تفعله.

٥ - أغار... رغماً عني

علمت هانا أن جون مصابة بالتهاب المفاصل، ففكرت أنها تستطيع القيام بعمل ما لمساعدتها. سوف تقوم بطلاء القاعة الرئيسية. بعد الفطور، أحضرت جون صفيحة الطلاء، فأبعدتها هانا، وأصرت على القيام بالطلاء بمفردها. أما المشكلة التي واجهتها فهي كيفية ملء الثقوب التي سببتها المسامير في الجدران بسبب تعليق الأعمال الفنية لمونا وغيرها من الفنانين المقيمين لديها. تبين لها أن جون لا تملك المعدات الضرورية للطلاء، وهكذا بدل استعمال معجون خاص لملء الثقوب، أجبرت هانا على مزج الطين، ووضعه في الثقوب مستخدمة إصبعها، ثم صقلها لتصبح ملساء بواسطة ظهر مشط زهري اللون وجدته في حقيبة يدها. لم يبد عملها سيئاً، لكنه ليس مميزاً أيضاً.

نظرت إلى ساعتها. إنها التاسعة والنصف. لابد أن الطين الذي وضعته جف الآن، وباتت قادرة على البدء بالطلاء. بدأت بفتح صفيحة الطلاء ذات اللون الأبيض الضارب إلى الأصفر.

- ما الذي تفعلينه؟

إنه الصوت المألوف الذي يثير غضبها نفسه. لم ترفع هانا نظرها إلى روث، بل استمرت في العمل لتفتح الصفيحة.

- أنا أؤلف مسرحية غنائية. ماذا تظنني أفعل؟

قال: «لا أعتقد أنك تفعلين ذلك».

سمعت وقع قدميه على الصحف المبعثرة. لماذا تراه يسير نحوها؟

آه! هذا ما تحتاجه الآن، السيد المثالي قادم لانتقاد عملها!

- ما هذه النتوءات على الجدران؟

حدقت هانا به متسائلة: «نتوءات؟!».

أشار نحو أحد الثقوب المغطاة بالطين، وكرر: «أجل، كهذا النتوء».

قالت: «هذا ليس نتوءاً. إنه مسطح بشكل مثالي، وهو يبدو كالنتوء فقط لأنه أكثر وضوحاً من الجدار. هذا كله خداع بصري».

لم تكن متأكدة أنها هي نفسها تصدق ما قالته، لكنها لن تتقبل بأن يقال عن عملها إنه سيء.

مرر روث يده فوق الثقب المغطى بالطين، وقال: «هذا ليس سيئاً. لكنه بحاجة إلى صقل بورق الرمل، وإلا فإن النتوءات ستبدو بوضوح ما إن يتم الطلاء».

أطلقت تنهيدة ثقيلة لتظهر تفاقم غضبها، وقالت: «اسمع! لا يبدو لي أن هناك أي نتوء في الجدران».

فكرت في الاعتراف له أنها لا تملك أدوات للعمل، لكنها قررت ألا تفعل. ربما سيجد فكرتها باستعمال المشط نوعاً من السخافة، وهي لا تريده أن يسخر منها الآن. أضافت: «على أي حال، ما إن أعيد تعليق اللوحات الفنية حتى تغطيها كلها».

رفع روث حاجبه، كأنه يشك بما سمعه، أو كأنه يقيّم عملها غير مهتم بالأعذار. لم يعجبها الشعور الذي راودها بسبب نظرته تلك. لكي تدافع عن نفسها، ضغطت هانا بشدة على أسنانها، وأضافت: «لا تملك جون أوراق رمل. ليس لديها سوى الطين والطلاء».

هزّ رأسه، وكأن ما سمعه لم يفاجئه: «هناك الكثير من الأشياء التي تحتاج إليها ولا تملكها».

بعد لحظة، أشار إلى الصفيحة قائلاً: «لا تفتحيها الآن. لدي فكرة».

سألته هانا بسخرية: «ما الذي ستفعله؟ هل ستصنع لي ورقة رمل؟».

- انتظري فقط.

وبغمزة سريعة كادت توقع هانا على الأرض، استدار روث وسار نحو المطبخ.

بقيت هانا رابضة هناك تحدق به، وقد فتحت فمها من الدهشة. عندما استعادت هدوءها، قطبت جبينها، وقالت: «الجدار مصقول بشكل جيد، وليس هناك أي نتوء فيه».

عادت للعمل على فتح الصفيحة، منزعجة من تدخله وتقييمه لعملها. أخيراً فتح الغطاء مصدراً صوتاً قوياً. نزعته هانا بعناية، ووضعته فوق صحيفة تغطي البلاط، متجنبة أن تلمس الطلاء بيدها، ثم أمسكت عصا لتحريكه. تأملت الجدران من مكانها حيث تربض. لاحظت بروز بعض النتوءات بالفعل في سطح الجدار حيث عملت على صقل الطين. تمتمت: «فقط أحمق مهووس قد يلاحظ ذلك».

وقع قدمين تقتربان جعلها تدرك أن روث عاد. أهذا ممكن؟ كيف له أن يصنع أوراق رمل خلال خمس دقائق؟

عاد روث من حيث غادر، من جهة المطبخ. عندما وصل قربها مدّ يده نحوها قائلاً: «تفضلي!».

نظرت إلى أصابعه التي تحمل في طياتها شيئاً أخضر اللون، لم يبدُ لها قطعة من ورق الرمل. رمقته بنظرة تحمل عدم الثقة المطلقة، ثم وقفت. عندما توانت عن مد يدها لتأخذ ما يقدمه لها، فتح روث يده. رأت نبتة مجعدة تحمل براعم صغيرة لكنها قوية. رفعت نظرها واهتمامها عن النبتة إلى وجهه: «لماذا تقدم لي أعشاباً برية؟»

- إنها أوراق رمل منزلية الصنع.

لم تمد هانا يدها لتأخذها، فهز رأسه، وقال: «حسناً! سأبرهن لك ذلك».

سار نحو الجدار، وبدأ يحف العشب بنعومة فوق واحدة من كتل

الطين. لدهشتها، بعد حركات قليلة فقط اختفى التنوء، فانتقل روث إلى كتلة أخرى، ليعطيها فرصة كافية لتعاين الثقب الذي عالجه. مررت إصبعها فوقه، وعلمت أن عليها الاعتراف أنه يبدو جيداً بالفعل. شعرت هانا بإحساس من الضيق، كارهة أن تعترف أنه ليس على حق بشأن التنوءات فقط، بل أيضاً هو قادر على استحضار ورق رمل من نوع من الأعشاب على الشرفة. تلك الملاحظة أثبتت لها أنه يتفوق عليها حتى في عمل عادي جداً كالتحضير لطلاء الجدران. لم تتمكن من كبت زفرة من الضيق. استدار روث لينظر إليها قائلاً: «هل قلت شيئاً ما؟».

راقبته هانا وهو يحف الكتلة الرابعة، وقالت: «لا».

وضعت يديها في جيبي سروالها، مصرة بعناد ألا تمتدحه أو تثني على عمله. تأملها روث للحظة، ثم استدار متابعاً عمله وهو يقول: «يمكنك أن تبدأي بالطلاء، وأنا سأنهي حف التنوءات».

- حسناً!

بعد مرور عدة دقائق رأت أن الطلاء أصبح جاهزاً للاستعمال، فالتقطت الفرشاة وغمستها فيه. قالت، غير قادرة على كبت فضولها أكثر: «حسناً... حسناً! ما هذه النبتة؟».

لم يجب روث، حتى إنها لم تعد تسمع صوت الحفيف وهو يعمل. أين هو؟ ما الذي يفعله؟ استدارت لتنظر وراءها. شعرت بثقل الفرشاة بيدها، ثم أدركت متأخرة أنه انتقل في القاعة وأصبح قريباً جداً منها. قريباً لدرجة أن فرشاة الطلاء رسمت خطاً عريضاً على صدر قميصه الرياضي الأزرق.

- آه!

جذبت الفرشاة بعيداً عنه، لكن لسوء الحظ، ردة فعلها جعلت الفرشاة ترتطم بصدرها.

- آه!

قطبت هانا جبينها وهي تشعر أنها حمقاء. منذ اللحظة التي دخل

إليها روث إلى القاعة، وهي تقدم على أعمال سخيفة، عملاً تلو الآخر.

أجبرت نفسها على النظر إلى روث، وقالت بنبرة صادقة: «أنا آسفة جداً».

بدا روث مندهشاً أكثر مما هو منزعج. نقل نظره من قميصه إلى قميصها، ثم إلى وجهها. شكرت هانا ربها لأنها غير قادرة على قراءة الأفكار. لاشك أنه يظنها الآن أكبر حمقاء على سطح الأرض كلها. ابتلعت غصة بصعوبة، وقالت: «إن وضعت أذنك قرب أذني، فبإمكانك أن تسمع صوت المحيط... كما يُسمع من صدفة فارغة. هذا ما أصدته بالطبع».

لماذا تصر على وصف نفسها بالحمقاء، ومع هذا الرجل من بين كل الرجال؟

تجعد جبين روث، ثم ظهرت ابتسامة كبيرة على وجهه. فاجأها حين قال: «حسناً!».

انحنى بما فيه الكفاية ليضع أذنه قرب أذنها. أصيبت هانا بالذهول، ولم تستطع أن تتحرك. ما الذي يفعله؟ هل يريد التأكد مما قالته؟ قال بنعومة: «أنا لا أسمع شيئاً».

بردة فعل تلقائية استدارت هانا، لتجد نفسها في مواجهته تماماً.

لمعت عيناه باستحسان واضح، أما هي فراقبت تينك العينين بقدر ما تجرؤ، ثم أبعدت نظراتها عنه بصعوبة. بالرغم من المجهود الذي تبذله لتبدو متزنة، شعرت بنفسها ترتجف. قالت: «كنت أمزح».

ابتعدت عنه، متمنية لو أنها كانت تمزح فعلاً، مع أنها لا تزال تشعر بأنها أكبر حمقاء في العالم. راح الطلاء يتساقط من الفرشاة التي ارتطمت بصدرها. لم تجرؤ هانا على إبعادها لخشيتها أن يظهر القماش الرطب الملتصق ببشرتها انحناءات جسمها بوضوح.

- حسناً! إنها ذنب الخيل.

لم تدرك ما الذي يقصده بقوله.

- ماذا؟

الآن أصبحت مرتبكة بشكل كامل. على الرغم من عدم رغبتها في القيام بذلك، إلا أنها استدارت لمواجهته، فيما لا يزال روث قريباً جداً وقادراً على إثارة اضطرابها. تأمل وجهها بتأنٍ. بالطبع هو ليس سعيداً، لكنه على وشك أن يضحك. تساءلت لماذا تراها تشعر بخفة في رأسها وبضعف في ركبتيها؟ خشيت أن تكون رائحة الطلاء قد أثرت فيها، وإلا كيف تفسر ذلك الدوار الذي يصيبها وهو قريب منها؟

قال روث بنبرة قلقة: «هل أنت بخير؟».

هزت هانا رأسها بالإيجاب بصورة لا إرادية. إنها تكذب بالطبع، فهي بعيدة جداً عن الاحساس أنها بخير وبأفضل حال. شعرت بلمسة يده على مرفقها وهو يقول: «وجهك متورد جداً. ربما من الأفضل أن تجلسي. دعيني أمسك هذه».

شعرت به يمسك بفرشاة الطلاء فقاومته بشدة قائلة: «لا!».

- لماذا؟ إنها تفسد قميصك.

- لابأس.

تلفظت بذلك بنبرة عالية.

أصر روث قائلاً: «لا تكوني سخيفة!».

جذبت هانا ذراعها بعيداً عنه، وقالت: «توقف عن ذلك!».

عضت بأسنانها على شفتها السفلى آملة أن تتمكن من تهدئة روعها.

قال: «آه! آسف».

ترك يدها، لكن دفء بشرته بقي مسيطراً عليها. وضع يده على مرفقها، وقال: «اجلسي!».

شعرت به يدفعها لتجلس على الصحف الملقاة على الأرض.

- من فضلك، أنا بخير. كل ما في الأمر أنني متضايقة.

اعترفت متابعة: «أفسدت قميصك، وسأدفع ثمنها».

- إنها قميص قديمة.

تجنبت النظر إلى عينيه، فهي لا ترى شيئاً من حيث تجلس. قالت: «ارحل فقط، فأنا أستطيع أن أكمل حف الجدار».

- ألن تبدلي ثيابك؟

- لِمَ علي أن أفعل ذلك؟ لن يضر هذه القميص وقوع المزيد من الطلاء عليها الآن.

نظرت إليه من تحت رموشها. كان روث يركع على ركبة واحدة، وهو يبدو شديد الجاذبية. خط الطلاء على قميصه جعل صدره يبدو أكثر عرضاً.

- اعتقدت أنك تشعرين بالحرج بسبب قميصك الرطبة.

- إن غادرت، فلن تكون هناك أي مشكلة. أليس كذلك؟

بدأ بالتكلم، ثم بدل رأيه، فهز رأسه بحزن وقال: «فهمت قصدك».

وقف وهو يتابع: «سأنهي حف الجدران قبل خروجي».

قالت هانا بنبرة أشبه بالتوسل: «لا داعي لذلك. فقط، ارحل!».

قطب روث جبينه للحظة، كأنه يفكر في مناقشة الفكرة معها، لكنه ما لبث أن انحنى نحوها، ثم مد يده إليها قائلاً: «خذي!».

هذه المرة قدمت هانا له يدها المليئة بالطلاء وهي تفكر لو أنها أخذت الأعشاب منه منذ البداية... تمتمت: «شكراً».

بدلاً من وضع الأعشاب الخضراء في راحة يدها، أدار روث يده فوق يدها، وأطبق أصابعه حولها. قال بنعومة: «هذه نبتة ذيل الحصان، وهي ذات خشونة كافية لأنها غنية بمادة السيليكون. عندما تتفتت تصبح قاسية وسميكة مثل أفضل أنواع أوراق الرمل. كنت أنا وأبي نستعملها كورق الرمل عندما كنت صبياً».

استمر في الامساك بيدها وهويتابع: «لابد أن هذه الكمية كافية لإنهاء القاعة».

سمعته، لكن اهتمامها الوحيد ظل مركزاً على أصابعه التي تضم يدها. أخذ قلبها يضرب بقوة وبسرعة تحت فرشاة الطلاء التي تمسك

بها. ما الذي يصيبها؟ بطريقة ما، وبسبب عدم رؤيتها له، تمكنت هانا من سحب أصابعها من يده، وهمست: «من فضلك، اذهب!».

شعرت كأن هناك مشكلة ما بالنسبة إليه. أتراه لا يريد أن يبتعد عنها؟ هزت رأسها بسرعة لتتخلص من هذه الفكرة الغريبة.

سمعت حركة ما إن وقف روث، ثم سمعت وقع قدميه وهو يسير على الصحف، ثم يصعد الدرج.

* * *

يا للصدمة! فكرت هانا، وهي تشعر بالقلق لرؤية سيارة الشريف ديكون فانس في الموقف. مالت على سياج الشرفة وهي تتساءل، ما هو المخطط الملتوي الذي استعملته جون اليوم لتحضر توأم روحها العتيد إلى الفندق. بالأمس، عند الساعة السابعة، وما إن انتهت هانا من الاستحمام وتبديل ثيابها بعد الانتهاء من طلاء القاعة حتى وصل ديكون استجابة لاتصال من جون تطلب منه فيه مساعدتها من تهديد مجموعة من الذئاب المفترسة، تبين في ما بعد أنها ظبية ترعى في الغابة القريبة مع صغارها. بما أن موعد العشاء قريب، فقد انضم ديكون إليهم. حسناً! ما هي الحجة التي اخترعتها جون اليوم؟

نظرت هانا إلى ساعتها. إنها لم تتجاوز الساعة السابعة بعد، قررت أن تنزع عنها الرداء وترتدي ثياباً خفيفة، فمن الواضح أن النهار سيكون حاراً ورطباً.

استدارت هانا، وعلى الفور جمدت مكانها مندهشة لاكتشافها أن روث يراقبها. لم يكن يرتدي إلا سروالاً قصيراً أزرق اللون ويتكئ على إطار باب الشرفة. مال برأسه، وقال: «صباح سعيد».

رمشت بعينيها وهي تبتلع غصة من شدة دهشتها. منذ متى يقف روث هناك، ويراقبها بصمت؟

أشار برأسه نحو موقف السيارات قائلاً: «أرى أن الجوال الأعزب قد عاد».

قلبَ شفتيه، وتابع: «كيف تجري قصة الغرام؟».

بالرغم من أن هانا تشعر أن ما تفعله جون للجمع بينها وبين ديكون أمر لن يكتب له النجاح، لكنها رأت أن ملاحظة روث ساخرة جداً، وهي لن تدعها تمر من دون أن تتحداه.

- أتشعر بالغيرة؟

تفاجأت هي نفسها من سؤالها. من أين أتت بهذا السؤال؟

ابتعد روث عن الباب وخرج من الظل. رؤيته خطفت أنفاسها. قال بصوت ناعم أجش: «أجل».

شعرت هانا بقشعريرة غير متوقعة. لأول مرة بدا كأنه لا يسخر منها. تابع روث قائلاً: «لا أريد أن أشعر بالغيرة».

شعرت بإحساس غريب من الفضول في أعماقها، فعيناه الزرقاوان تعدانها بالكثير... أجفلت هانا، ولم تعرف السبب. إنه قريب جداً، وهي تتنشق عطره، وتشعر كأنها تنجذب بقوة نحو رائحة النظافة وشذا صابون الاستحمام الذي يفوح منه. لمعت عيناه بشدة، ومال برأسه نحوها. لامس بيده خدها وهو يقول: «أنت تعجبينني لدرجة أنني أفقد السيطرة على نفسي».

في اللحظة التالية عانقها روث بنعومة وبإحساس أفقداها كل ما لديها من مقاومة وكره له.

يا لهاتين اليدين! أقل لمسة منهما تملك القوة لتقضي على كل منطق لديها. أخذت الكلمات تتمازج في ما بينها داخل رأسها، ولم تجد لها أي تفسير طبيعي. كل ما تستطيع فهمه هو ذلك العناق المميز الذي يزعزع الأرض من تحتها. شعرت بدفء تحت أصابعها، فأدركت أنها مررت ذراعيها حول خصره. لم تعد تسمع همسات الإنذار في رأسها، فهي لا ترغب مطلقاً بأن تبتعد عن دفء ذراعيه. مررت يديها على ظهره. فشعرت بعضلاته القوية. رفع روث رأسه ليهمس: «تعالي!».

بعد لحظة شعرت بنفسها تتحرك إلى الأمام، وهي بالكاد تدرك ما

الذي يحدث. أصبح المكان حولها أكثر ظلمة وبرودة. رمشت هانا بعينيها، محاولة استيعاب ما يجري معها. شهقت حين لم تعد قدماها تلامسان الأرض. سمعت ضحكة ملأت أذنيها، ثم سمعت صوته يهمس: «نحن نغير المكان فقط، فالشرفة مكان عام».

أجلسها روث على الأريكة في غرفته، وجلس إلى جانبها. تمتم: «هذا أفضل من الفطور».

وعانقها من جديد.

أفضل من الفطور؟! ماذا يقصد بقوله؟ شيء ما في عقلها بدأ بالعمل من جديد. ما هو الأفضل من الفطور؟ هل يقصد...؟ راح عقلها يعمل بسرعة على توضيح ما يجري. أيقترح ألا ينزلا لتناول الفطور كي يبقيا هنا؟ قالت هانا متأوهة، وهي تشعر بخيبة الأمل: «آه!».

هانا هودسون، ما الذي تفعلينه؟ لم يعجبها أبداً الجواب الذي بدأ يتراءى على صفحة أفكارها. ارتجفت هانا وهي تشعر بالانزعاج. فحقيقة أنها تشعر بالانجذاب إلى شخص تشمئز منه ترعبها، لأنها تؤكد لها أنها بعيدة عن كل ما يمليه عليها المنطق والعقل.

قالت كأنها تتنهد: «كفى!».

شعرت أنها ضعيفة جداً بقربه. لكن لا! هذا روث جيرك! وبخت نفسها بسرعة: لا تعطيه الاحساس بالرضى، وبأنه قادر على هز ثقتك بنفسك. لا تدعيه ينجح في إغوائك!

وضعت هانا يدها على صدره، ودفعته قائلة: «كفى! توقف».

عادت ذراعاها المرتجفتان تتلقيان الأوامر من عقلها. ضحك روث تلك الضحكة العميقة وهو يقول: «لا تقلقي، عزيزتي!».

دفعته بقوة وهي تقول: «كفى، اتركني!».

شعرت بأنفاسها ضعيفة وبساقيها ترتجفان. صرخت به: «أنت وغد. كيف يمكنك أن تتصرف على هذا النحو؟».

ابتعد روث عنها قليلاً. تجعد جبينه، مع أن ابتسامته لم تتبدل. قال: «أنت جميلة وجذابة».

شعرت كأنها تحترق بدءاً من أطراف شعرها حتى أصابع قدميها. سألته غير مصدقة ما سمعته: «أهذا كل ما يهمك؟».

تبدلت ابتسامة روث إلى حيرة واضحة وهو يسأل: «ماذا هناك غير ذلك؟».

شهقت وهي تسأله: «كيف أمكنك أن تكون بهذه الوقاحة؟».

- وقاحة؟! ألأنني قلت إنك جميلة وجذابة؟

- لا!

هزت رأسها، مقررة أن محاضرة في الأخلاق ليست مناسبة له. تابعت: «أعتقد أن معاييرك تتحطم عندما ترى امرأة جميلة. أليس كذلك؟».

- معاييري؟ لا يحق لك التكلم عن المعايير المحطمة.

لولا النبرة الحادة في كلامه لظنت هانا أنه يستمتع بما يجري.

ابتعدت عن الأريكة، وعادت تنظر إليه. سألته: «ماذا تقصد بقولك هذا؟».

- كنت أعتقد أنك تكرهينني، لكن يبدو أن معاييرك تبدلت أنت أيضاً، عزيزتي.

آه! في هذه اللحظة بالذات، هي ليست في وضع يسمح لها بأن ترميه بأقسى الكلام، لكنها في النهاية قررت المواجهة: «أنا على الأقل توقفت قبل فوات الأوان».

استدارت بسرعة، متجهة نحو الباب الذي يوصل إلى الممر. عندما وضعت يدها على مقبض الباب، أدركت أن الخروج من غرفة روث، وهي تلبس رداء منزلياً قد يلفت الأنظار إليها، ويعطي أفكاراً خاطئة عنها. استدارت وهي ترفع ذقنها عالياً. تجنبت النظر إلى روث وهي تتجه نحو باب غرفة الحمام. قالت: «لا يهمني ما هو الوقت الآن، فأنا سأستحم. هل هذا واضح؟».

* * *

www.elromancia.com

عندما وصلت هانا إلى قاعة الطعام لتناول الفطور، وجدت روث هناك وكذلك ديكون الذي نسيت وجوده تماماً. شعرت أنها مذنبة وشريرة، لكنها ويا للغرابة! سعيدة أيضاً.

قالت جون بفرح: «صباح سعيد، هانا. اعتقدنا أنك لن تنضمي إلينا اليوم».

جلست هانا على مقعدها بجانب روث. شعرت بعطره يملأ رأسها، ويعيد إليها ذكرى غير مرغوب بها، إلا أنها قوية كأمواج المحيط. حاربت تلك الأفكار بشجاعة، فابتسمت أولاً لجون، ثم لمونا وأخيراً لديكون. قالت لنفسها: لا تشعري بالذنب، فأنت لا تخدعين أحداً. أنت ببساطة، تصرفت بحماقة مطلقة. في النهاية، روث على حق، فأنت تكرهينه. كيف سمحت لنفسك بأن...

قال ديكون: «صباح سعيد».

جذبها صوته من تحليلاتها. أتراه خمن ما حدث؟ أتراه يشك بالأمر؟ أيعقل أن يكون روث قد نزل إلى الطابق الأرضي، وأخذ يثرثر بشأن عناقهما؟ لا! لا تكوني سخيفة! أقنعت نفسها بذلك بصمت وهدوء. حتى روث لا يمكنه أن يكون مراوغاً وسيئاً إلى هذا الحد. قالت بتماسك يفوق ما تشعر به في الواقع: «صباح سعيد، ديكون».

ثم أضافت إلى كل من على الطاولة: «أنا آسفة على تأخري. كنت...».

توقفت عن الكلام، باحثة عن عذر لتأخرها.

قالت جون، تكمل الجملة عنها: «آه! علمنا. أخبرنا روث».

ما الذي قاله روث؟ حدقت في الطبق الذي ناولتها إياه جون، حيث سكبت لها البيض المخفوق. سألت: «أحقاً؟».

مهما كان ما قاله، لا يمكن أن يكون ما حدث فعلاً.

- أجل. قال إنه السبب في تأخرك.

اختنقت هانا وهي تأكل قضمة كبيرة من البيض والخبز.

سألتها جون: «هل أنت بخير؟».

هزت هانا رأسها، وشربت الماء بسرعة. قالت: «أجل. شكراً لك».

نظرت نحو روث وهي تئن. تساءلت عما قاله بشأن تأخرها. صرخت في أعماقها: ليس الحقيقة! من فضلك يا إلهي.

كان روث يشرب القهوة، ويبدو كما لو أنه لا يلقي أي اهتمام للحديث الدائر حول الطاولة.

- حسناً! آه...

بدأت بالتكلم بحذر، غير متأكدة عما يجب أن تكون عليه ردة فعلها.

- يجب أن أعترف أن من الرائع وجود رجل موهوب أثناء الأزمات.

شعرت هانا بالألم والمرض حتى عظمها. أي نوع من المواهب بالتحديد تتحدث عنه جون؟

- في النهاية، لم يحدث أي سوء، أو أي أذى حقيقي.

تلك الملاحظة أقلقتها، فقد بدت قريبة جداً من الحقيقة.

تنهدت جون، وتابعت: «تمكن من إنقاذ خاتمه. لحسن الحظ أنه يملك الآلات التي مكنته من نزع مصرف المغسلة لاستعادته».

نظرت هانا إلى روث. بدا كأن هذا الأخير شعر بنظراتها، فاستدار والتقت عيونهما. وضع روث سكين الزبدة جانباً، ومدّ يده اليسرى أمامها، فرأت الخاتم الذي يضعه. قال، وهو يبتسم وعيناه تلمعان بشدة: «ها هو من جديد. أخبرتهم أن سقوط الخاتم في مصرف المغسلة أجبرك على الاستحمام في وقت متأخر».

ابتلعت هانا غصة بصعوبة. آه، بالطبع! لم تستطع إيجاد صوتها، لذا رفعت كتفيها بلا مبالاة، وأبعدت نظراتها عنه.

قالت جون: «بالحديث عن الرجال الموهوبين، ديكون جاء اليوم

ليصلح لي آلة تحميص الخبز، فقد كانت ترمي التوست إلى السقف. أما الآن فهي تعمل بشكل جيد كما كانت تماماً، لذلك أصريت عليه كي يبقى ويتناول الفطور معنا».

قال ديكون: «تسرني مساعدتك».

أجبرت هانا على رفع رأسها والنظر إليه باهتمام. ابتسم ديكون لها، فبادلته الابتسام، مع أنها شعرت بضعف في قدرتها التمثيلية.

قال ديكون، مقاطعاً تصارع أفكارها: «هانا!».

ابتسم لها، وتابع: «قدمت جون لي عرضاً بإعداد غداء للنزهة لشخصين، وأتساءل إن كنت ترغبين في الانضمام إلي؟».

حدقت به هانا وقد فاجأتها دعوته تلك: «اليوم؟».

هز رأسه، وقال: «إن كان ذلك يناسبك».

نظرت إلى جون، فابتسمت المرأة العجوز. قالت: «ليس لديك أي مخطط لتمضية النهار. أليس كذلك، عزيزتي؟».

ترددت هانا: «حسناً! أنا...».

- دجاج مقلي مع السلطة والبطاطا، والبندورة المجففة والحلوى.

قالت جون ذلك ثم نظرت إلى مونا وروث، وتابعت: «بالطبع، سنأكل الطعام نفسه، لكننا سنأكله هنا».

شعرت هانا كأنها وقعت في الفخ، لكن البديل هو الجلوس بقرب روث عند الظهر لتناول الغداء.

- حسناً! بالطبع، ديكون. إن لم يكن لديك أي عمل آخر.

سارعت جون بالتعليق: «لديه فريق عمل كفوء فعلاً».

ابتسم ديكون ابتسامته الساحرة، وهي ابتسامة قادرة بدون أي شك على جعل الكثير من النساء مغرمات به.

قال ديكون مازحاً: «أيام الخميس هي عادة خالية من الجرائم».

علق روث على الفور: «لم أسمع بذلك من قبل».

لاحظت هانا على الفور نبرة السخرية في صوته، فقالت: «أنا

متأكدة أن الشريف لا يقصد الاحصاءات الوطنية».

قال ديكون: «هذا صحيح. أقصد فقط مقاطعة دولاوار».

- آه!

هز روث رأسه، وكأن معلوماته قد ازدادت بشكل هائل. هذه المرة لم تستطع هانا السيطرة على نفسها، فرفسته على كاحله بحافة حذائها.

صاح روث: «آه!».

سألت جون: «أهناك خطب ما، سيد جونسون؟».

حاول روث أن يتحدث بصوت هادئ. لم ينظر إلى هانا أو حتى يحدق بها بغضب، بل قال: «آه! أجل، عضضت لساني».

لم تستطع هانا إلا أن تعلق بسخرية: «أكره ذلك عندما يحدث معي. عادة ما يعض المرء على النقطة نفسها مراراً وتكراراً فتورم. أتمنى فعلاً ألا تفعل ذلك مرة ثانية».

نظر روث نحوها، وابتسم لها بوقاحة قائلاً: «آنسة هودسون، اهتمامك يدفئ قلبي».

رفعت كوب قهوتها ومدّته نحوه، وهي واثقة أنه سيفهم السخرية الواضحة منه في تصرفها هذا. وضع روث راحتي يديه على الطاولة، ونهض قائلاً: «حسناً! لدي عمل في غروف. أرجو أن تعذروني جميعاً».

تمتمت هانا: «أعتقد أننا نستطيع أن نمرح بدونك».

ضحكت جون، ففكرت هانا، إن كانت مضيفتها قد سمعتها، فلا بد أن روث سمعها أيضاً. حسناً! لماذا تهتم له؟ أضافت: «لم أذهب في نزهة منذ زمن بعيد، ديكون. أنا سعيدة جداً بدعوتك».

شعرت بإحساس غريب من الارتياح لمغادرة روث، حتى إنها كادت ترمش بجفونها للشريف.

٦ - رجل بلا قلب

انتهت نزهة ديكون وهانا على نحو مفاجئ، بسبب انعطاف شاحنة محملة بقفران النحل، ما جعل العسل ينسكب على الطريق، مسبباً فوضى عارمة. عندما عادت هانا إلى الفندق، لاحظت على الفور أمرين: رائحة الطلاء، وفرح جون باترسون الواضح.

حيتها جون بعناق حار. تركت كتفي هانا، لتمسك بيديها، وتسألها: «كيف كانت النزهة؟ هل أمضيتما وقتاً سعيداً؟».

لمعت عينا المرأة العجوز بالتوقعات. ففي خيالها هانا وديكون مثاليان لبعضهما البعض، ومن الصعب إقناعها أن ليس هناك انجذاب حقيقي بينهما. تمنت هانا لو أن ذلك الانجذاب موجود حقاً. إنها لا تستطيع أن تفهم لماذا، ومن بين كل الرجال، هي تشعر بهذا الانجذاب الغريب نحو روث جيرك، فهي لا تحب الرجل.

بابتسامة مصممة، أبعدت هانا نفسها عن قبضتي جون، وقالت بحماسة: «النزهة كانت رائعة، والطعام شهي جداً».

قالت جون: «شكراً لك، عزيزتي».

كادت هانا تقرأ السؤال في عيني جون: هل عانقك؟ بدا ذلك واضحاً جداً، ما جعلها تشعر بالحرج، لذلك علقت: «آه! أجبر ديكون على المغادرة بسبب حادث وقع على طريق جسر سيلبوت».

ظهرت ملامح الاستياء على وجه جون وهي تقول: «آه! كم هذا مؤسف ومزعج لكليكما».

راود هانا شعور بأن الحادث أكثر إزعاجاً لجون مما هو لهما. قد

يكون ديكون منجذباً إليها، لكن إحساسه ليس كافياً لإطفاء حزنه على خسارة زوجته. ربما يفكر أن الوقت حان ليتابع حياته، وظهرت هانا على الساحة في تلك اللحظة المناسبة. وبدلت هانا الموضوع قائلة: «أعتقد أنني بحاجة إلى الاستحمام، بعد ذلك، سأساعدك في إعداد العشاء».

قالت جون: «هذا لطف منك، وحينها تخبرينني بكل شيء».

أجفلت هانا. يبدو أن الاعتراف«لا. لم يعانقني» سيبقى معلقاً فوق رأسها لفترة ما.

قالت جون، وكأن الفكرة لمعت في رأسها فجأة: «آه! لدي بعض الأخبار السارة عن السيد جونسون».

على الفور شعرت هانا بالارتباك، ثم أدركت أنها تقصد روث جيرك. تظاهرت بعدم الاكتراث وهي تقول: «أحقاً؟ هل غادر؟».

تساءلت لماذا راح قلبها يدق بسرعة لمجرد ذكر اسمه، حتى لو لم يكن ذلك اسمه الحقيقي. ضحكت جون. ربتت على ذراع هانا، وأجابت: «لا! لكننا لن ننزعج منه بعد الآن، لأنه فعل أكثر الأمور لطفاً».

لم تستطع هانا أن تتخيل ما الذي فعله روث. سألتها: «ما هو ذلك العمل اللطيف الذي قام به؟».

- الرجل الطيب ذهب إلى البلدة، ودفع كل الضرائب المترتبة علي. أليس هذا عملاً رائعاً؟ وأنا التي راودتني أفكار سيئة بشأنه. أشعر بالخجل من ذلك.

تجهم وجه هانا. ساورها شعور بأن تصرف روث غير نابع من لطفه وحبه لعمل الخير. سألت جون: «هل أخبرك أنه فعل ذلك؟».

قالت جون: «أجل. قال إنه يريد مساعدتي لأحسّن وضع الفندق».

- همم!

لم تجرؤ هانا على التعليق أكثر. بعد مرور فترة من الوقت بإمكانه

استعمال وثيقة دفع الضرائب ليسرق منزل جون منها. أرادت أن تخبر جون عن دوافعه الحقيقية، لكن عليها أن تواجه روث أولاً، وأن تتأكد أن هدفه سيء تماماً كما تعتقد.

- يجب ألا نفكر بالسوء به.

سألت هانا: «أين هو الآن؟ أحب أن أشكره على قيامه بمثل هذا العمل».

- أعتقد أنه في غرفته.

أمسكت هانا يد جون، وضغطت عليها: «حسناً! سأنزل بعد فترة قصيرة».

نادتها جون وهي تصعد الدرج: «لا داعي للعجلة، عزيزتي».

أمام باب غرفة روث ترددت هانا، وهمست لنفسها: «لا تفترضي الأسوأ. ببساطة، اسألي الرجل عن هدفه من دفع ضرائب جون».

تنفست بعمق، ثم زفرت الهواء ببطء شديد.

بعد تكرار تجربة التنفس بهدوء للمرة الثانية، قرعت على الباب.

- هل أستطيع الدخول؟

ساد الصمت للحظة، ثم سمعت: «بالطبع».

ما إن دخلت إلى غرفة روث، حتى أدركت ما الذي اعتقده. شعرت هانا بعدم الارتياح، لمعرفتها بالأفكار التي تدور وراء تينك العينين الضيقتين، الماكرتين. أي مغرور هو! كان روث ممدداً على سريره، وقد تقاطع كاحلا قدميه. الحمد لله، إنه يرتدي ثيابه كاملة، ويمسك بيده هاتفه النقال قرب أذنه، ويتحدث قائلاً: «هذا كل شيء حتى الآن».

أغلق الهاتف بإصبعه، ووضعه قربه على الطاولة. ابتسم وهو يقول: «هذه مفاجأة غير متوقعة».

شعرت هانا برجفة قوية في صدرها، فاجبرت نفسها على التغاضي عن ذلك. قالت: «هذه ليست زيارة اجتماعية».

رفع حاجبه متسائلاً: «أحقاً؟».

- لا، إنها زيارة عمل.

مال برأسه مستغرباً وعلق: «أتعنين... عرض عمل؟».

أبعدت نظرها عن وجهه، محدقة بدلاً من ذلك بحذائه. عقدت ذراعيها فوق صدرها، ثم أبعدتهما عنها. لماذا تجد نفسها دائماً حائرة بما تفعله بيديها؟ وضعتهما في جيبي سروالها، وقالت بصوت مضطرب: «لا! مجرد سؤال فقط».

بالرغم من إرادتها، عادت نظراتها إلى وجهه، محدقة بجاذبيته الطاغية. تابعت بصراحة ووضوح: «لماذا دفعت ضرائب جون المستحقة؟ لا تكذب بشأن ذلك».

علت الحيرة وجه روث وهو يجيب: «لماذا تظنين أنني سأكذب؟».

- لا تحاول الرد على السؤال بسؤال آخر.

أنزل روث ساقيه عن السرير، ثم وقف، وقال: «حسناً! أجل دفعت عنها الضرائب».

قالت هانا تتحداه: «لماذا فعلت ذلك؟».

حدق بالأرض كما لو أنه شعر بالصدمة لأنها تطرح عليه مثل هذا السؤال.

قالت بغضب: «إذاً، أنا على حق. أنت تحاول سرقة منزلها منها».

رفع روث كتفه بلا اكتراث، وكأن لا أهمية مطلقاً لما تقوله.

- ما زال أمامها متسع من الوقت لتدفع ديونها، بالإضافة إلى البند الجزائي. إن فعلت ذلك، ستحتفظ بمنزلها، وأحصل أنا على حصتي وهي عبارة عن ثمانية بالمئة من الديون. يمكنك أن تفكري بالأمر كاستثمار ناجح.

قالت هانا: «لن تمانع بالطبع إن لم أفعل، فأنت تعلم أنها غير قادرة على دفع الضرائب، فكيف بالبند الجزائي أيضاً».

- لا أعلم شيئاً عن هذا الموضوع.

أطلقت هانا زفرة وكأنها تشتمه، ثم قالت: «كيف يمكنك أن تكون مجرداً من الرحمة؟ هذا منزلها وأنت تعلم كيف تشعر حياله».

سار روث نحوها، فيما بدت ملامح وجهه جدية. قال: «هذا المنزل كان منزلي عندما كنت طفلاً. وصدقيني! إنه مجرد منزل. من جهة أخرى، إن كانت جون ستفقد منزلها لصالح شخص ما، ألا تعتقدين أن من الأفضل أن أكون أنا ذلك الشخص؟ على الأقل، أنا سوف أحرص على تأمين منزل عصري مريح لها، وسأدفع لها المال من دون أن تعاني من أي قلق أو تعب».

- وبدون أي ذكريات، أو سحر، أو حتى سعادة...

استمر روث بالتقدم نحوها، فتراجعت إلى الوراء، إلى أن اصطدمت بالباب. سألها: «هل تفضلين أن يحصل شخص غريب على المنزل، يعمل على رميها خارجاً، فلا تجد مكاناً لتذهب إليه؟».

- لكن فندق القمر الأزرق يستحق الإنقاذ تماماً كما هو، بطرازه القديم الجذاب وروعة بنائه.

- أتعنين الأنابيب الصدئة والطلاء المقشر والسطح المتشقق؟

- أجل. تلك الأشياء كلها، بالإضافة إلى السلام والجمال اللذين توفرهما الغابة والشرفة المطلة على البحيرة. كيف يمكن لك ألا تُعجب بحوض الاستحمام القديم الذي يشبه الصدفة والأرض الخشبية المصنوعة من خشب الجوز؟ أنت من بين كل الناس، يجب أن ترى المميزات الكثيرة لهذا الفندق، والتي لا يمكن مطلقاً استعادتها إن هدم.

- من الحماقة أن نترك العواطف تقف في طريق التفكير السليم، فلا علاقة للعاطفة بعالم الأعمال.

- العواطف هي جزء من الحياة، حتى في الأعمال. إنها بالنسبة للنساء مسألة هامة ودافع قوي للعمل والنجاح. عندما يفكر رئيسك في العمل بأنك...

تراجعت عن قول ذلك بصوت عالٍ، وقررت أن تتابع الهجوم عليه: «عليك أن تستعمل عاطفتك أكثر، لتكتشف الحياة الحقيقية. تنفس كإنسان طبيعي لمرة في حياتك. حاول أن تشعر قليلاً فقط».

ضحك روث، لكن نبرة صوته بدت مليئة بالمرارة: «أشعر؟ هذا ما فعلته في الماضي، وكانت تلك غلطة كبرى، اخترت ألا أقوم بها ثانية».

سألته والفضول يسيطر عليها: «أتقول لي إنك عرفت افراحاً وأحزاناً كأي شخص طبيعي؟ لا أصدق».

اقترب روث منها أكثر وهو يقول: «أنا لا أهتم بما تصدقينه».

عرفت هانا ما الذي ستفعله بيديها الآن. مدتهما أمامها كإشارة طبيعية لإيقافه. قالت: «لا تقترب أكثر».

صحيح أنها غاضبة جداً الآن، لكنها تتذكر بكل وضوح ما حدث في هذه الغرفة هذا الصباح. إن اقترب منها أكثر فهي تخشى أن تنهار تماماً.

توقف روث في مكانه محدقاً بها، وكأنه تفاجأ من ردة فعلها. قال: «لن أهاجمك».

تعلم هانا ذلك، لكنها لا تستطيع شرح ما تشعر به بشأن اقترابه منها. قالت بسرعة: «أتعلم؟ سأعرض خدماتي على جون. أنا مديرة مالية كفؤة، حتى لو كنت تعتقد أنني ساذجة وبسيطة...».

- هل يمكنك التوقف عن التكلم عما أعتقده؟ ثم... من أين جاءتك تلك...

- لا تقاطعني!

شعرت هانا بالرعب. لقد تلفظت بتلك الكلمات فعلاً بصوت عالٍ. سواء كانت متسرعة أم لا، فإنها فجأة باتت ترى بوضوح كوضوح نور الشمس. هذا هو الحل لمشكلة البطالة التي وجدت نفسها فيها. لماذا لم تفكر بالأمر من قبل؟ هذا الفندق بما فيه سيكون عملاً مختلفاً بكل ما

www.elromancia.com

للكلمة من معنى؛ بلدة صغيرة ومكان هادئ مريح، حيث يمكنها أن تشعر بالانتماء. فجأة بدا كل شيء أمامها مناسباً جداً.

- إن قبلت جون بالتعامل معي، سأتولى إدارة هذا المكان. سأحوله إلى متنجع مريح تماماً. يمكنك أن تراقب ذلك عن بعد.

إنها ليست ساذجة. إخراج فندق جون من الأزمة التي يمر بها سيثبت ذلك للجميع. تابعت تقول: «لا تقلق سيد جيرك! سأعمل على أن تحصل على ما يستحق لك من مال... حصتك ولا شيء غير ذلك».

قلب روث شفتيه بسخرية، وعلق: «لا يمكنها أن تدفع لك راتباً».

- سأعمل مقابل الإقامة والطعام إلى أن تمر الأزمة المالية.

حدق بها بقوة: «لماذا تقحمين نفسك في أمر لاشأن لك به؟».

- سأجعله شأني بالتحديد.

علق بسخرية لاذعة: «هل أصبحت تحبين هذا المكان إلى درجة تجعلك ترمين بنفسك وبمدخراتك، وربما بعملك أيضاً من أجل قضية خاسرة؟».

- أجل. سأفعل ذلك.

هز روث رأسه، وظهر التوتر على عضلات وجهه، بعدئذٍ قال: «لا بد أنك ستناسبين جون، لأنك مجنونة مثلها».

- أفضل أن أكون مجنونة على أن أكون جشعة ومتفاخرة مثلك.

تقدم خطوة نحوها، فرفعت هانا يدها بصورة غريزية لتحمي نفسها. جمد روث في مكانه، ولمعت عيناه من الدهشة، وكأن ردة فعلها آلمته. تأوه بضيق، ثم أحاط خصرها بيديه، وأبعدها من طريقه، قبل أن يقول بنبرة هادئة: «سرتني زيارتك. يمكنك القدوم إلى هنا ساعة تشائين».

بعد مرور لحظة، أغلق الباب وراءه، وأصبحت هانا بمفردها هناك.

* * *

ما إن همت هانا بنزول الدرج وقد شعرت بالانتعاش بعد

الاستحمام، حتى سمعت عويلاً قادماً من المطبخ. خشيت أن تكون جون قد تعرضت لحادث ما، فأسرعت بالنزول بسرعة لتصل إلى باب المطبخ. صاحت مقطوعة الأنفاس: «ما الذي حدث؟».

- إنه ميتشي!

أبعدت جون المنديل عن فمها، وجلست بتثاقل واضح إلى طاولة المطبخ وهي تتابع: «لقد اختفى. إنه هرم ومصاب بالتهاب في المفاصل، وهو شبه أعمى. بحثت عنه في كل مكان، وناديته كثيراً، ولم يأتِ إلي».

غاب صوتها في البكاء قبل أن تتابع: «أخشى أن يكون قد تعرض لحادث ما أو حصل له مكروه».

شعرت هانا بتعاطف عميق مع ألم جون. قالت: «ما الذي يمكنني أن أفعله للمساعدة؟».

حركت جون المنديل بين يديها قائلة: «لا أدري ما الذي يمكننا أن نفعله سوى البحث عنه. ربما أضاع طريقه، ولم يتمكن من العودة إلى المنزل، وهو الآن يربض خائفاً في مكان ما».

قالت هانا: «سأذهب للبحث عنه في الحال، إلاّ إذا كنت بحاجة لي كي أساعدك في تحضير العشاء».

- أفضل أن نذهب جميعاً للبحث عنه، فلدينا الكثير من بقايا الدجاج والسلطة والبطاطا. يمكننا أن نعد سندويشات منها. أنا لن أرتاح قبل أن نجد ميتشي».

شهقت وهي تحرك منديلها وتتابع: «إنه يتألم. أعلم ذلك... ربما مات غرقاً، فهو لم يعد يستطيع السباحة بمهارة. آه! ربما...».

- من فضلك! لا تفكري بالأسوأ. أنا متأكدة أنه يتجول في مكان ما في الخارج، وأنه بخير.

ضمت هانا المرأة العجوز إليها، وتابعت: «سأنادي مونا».

- مونا بدأت بالبحث عنه.

أشارت جون بيدها نحو الحديقة وما تبقى من المعبد وهي تتابع: «سلكت تلك الطريق. أنت وروس يمكنكما البحث في الغابة، وأنا سأبحث في الجهة الأمامية من المنزل».

- آه! أنا... حسناً!

لم ترغب هانا مطلقاً في مرافقة روث جيرك للبحث عن الكلب، لكن نظراً لوضع جون البائس، قررت ألاّ تثقل كاهل المرأة بمشاكلها. هزت رأسها، وقالت: «سأبلغ روث بذلك. أين هو الآن؟».

وضعت جون يدها المرتجفة على جبينها، وأجابت: «رأيته يصعد منذ قليل إلى الطابق العلوي».

- حسناً! لا تقلقي. سنجد ميتشي، وسيكون بألف خير.

أسرعت هانا بالخروج من المطبخ، وعادت لتصعد الدرج. وقفت أمام باب غرفة روث، وحاولت بقوة أن تستجمع شجاعتها. إن آخر ما ترغب به الآن هو أن تطرق بابه من جديد. وبخت نفسها بصمت، هيا، هانا! أنت هنا من أجل جون. توقفي عن القلق بشأن ذاتك، وقومي بما أتيت للقيام به. ما إن انتهت من التحدث إلى نفسها حتى طرقت الباب بثقة وعزم.

- روث! أحتاج إلى التحدث معك على الفور.

في البداية لم تسمع أي إجابة، ففكرت بالعودة من حيث أتت. لا! هذا تصرف جبان من قبلها... ما إن رفعت قبضتها لتطرق الباب من جديد، حتى فتح فجأة أمامها. وقف روث عند الباب وهو يلف خصره بمنشفة، وقطرات الماء تلمع على بشرته. بدا شديد الجاذبية وكأنه أحد أبطال الأفلام السينمائية.

قال روث مقاطعاً اضطراب أفكارها: «آسف على التأخير. بالكاد انتهيت من الاستحمام، فلففت المنشفة على خصري. أعتقد أنك لا تمانعين».

مال برأسه، فيما ظهرت السخرية على ملامحه.

- آه! أنا... جون...

تلعثمت هانا، وتوقفت عن الكلام. يا إله السماوات! ها قد فقدت ترابط أفكارها. لماذا هي هنا؟

لمعت عينا روث بالسخرية وهو يقول: «لا! أنت هانا، وأنا روث. والآن بعد أن أوضحنا ذلك، هل هناك من شيء آخر؟».

أدركت هانا في الحال سبب وقوفها أمام باب غرفته، فقالت: «أجل، بالطبع هناك أمر هام جداً. ضاع كلب جون، والمرأة المسكينة حزينة جداً. سنذهب جميعاً للبحث عنه. أنا وأنت علينا البحث في الغابة».

شعرت هانا بعدم الارتياح وهي تحدق بمثال الوسامة الواقف أمامها، فأضافت بنفاد صبر: «الذهاب معاً ليس فكرتي، فأنا لا أرغب في القيام بذلك بالطبع. يمكننا البحث في الغابة، كل على حدة».

قلب روث شفتيه، ثم قال: «لا داعي للتصرف بهستيريا، فالكلب عاش هنا طيلة حياته، ولا يمكن أن يضيع».

لم تتوقع هانا مطلقاً ردة الفعل الباردة هذه. وضعت يديها على وركيها، وقالت: «أظنك لم تفهم ما قلته لك. الكلب ضائع فعلاً، فهل تقول لي إنك لن تساعد في البحث عنه؟».

- بل أقول إن تصرفكن هذا عاطفي جداً، وهو يضيع الوقت والجهد بلا جدوى.

مال ليتكئ على إطار الباب. تابع قائلاً: «الكلاب في الريف معتادة على الأماكن الواسعة، وهي تتجول بحرية وسعادة. سيعود الكلب عندما يرغب بذلك. صدقيني!».

لم تصدق هانا ما تسمعه أذناها. قالت: «ميتشي هرم، وهو مصاب بالتهاب المفاصل، وبالكاد يستطيع الرؤية. كيف يمكنك أن تتصور أنه سعيد في الخارج؟ هذا كلام غريب حقاً».

فيما كانت هانا تتكلم لاحظت قسوة واضحة في عينيه. بدا لها أنه لا يرغب مطلقاً بالمساعدة. شعرت بالضيق والاحباط، فقالت: «أنت

حقاً بلا قلب. لا أصدق أنني سمحت لك بمعانقتي».

لم تنزعج لأنها قالت ما قالته، فهي بحاجة لأن تبتعد عن هذا الرجل، لأنه يثير قلقها وجنونها. كما أن المسكين ميتشي ضائع، ووقوفها هنا أمام هذا الرجل العنيد المتفاخر يضيع منها ما تبقى من ضوء النهار. أسرعت هانا نحو الدرج، فيما صرخت به: «سأذهب للبحث عنه في الغابة بمفردي، وأنت تعلم إلى أين تستطيع الذهاب».

* * *

خيم الحزن على طاولة الفطور. قامت هانا بإعداد البيض المقلي واللحم المقدد، كما أعدت الشوفان لمونا، فجون مرهقة ومضطربة جداً، وغير قادرة على القيام باي شيء سوى البكاء والهمس باسم ميتشي بأنين وخيبة أمل. جلست إلى الطاولة لكنها لم تلمس الطعام، بل راحت تحركه في الطبق وعيناها تحدقان به، من دون أن تتذوقه.

انضم ديكون إلى فريق البحث في الصباح الباكر، لكن لم يكن هناك أي أثر للكلب. حاولت هانا أن تأكل لكنها لم تستطع إجبار الطعام على المرور من خلال الغصة التي تشعر بها في حلقها.

لم يظهر روث على الفطور، وهذا أمر جيد، فغضب هانا منه بسبب رفضه المساعدة في البحث عن الكلب تنامى في أعماقها إلى درجة لا توصف. نظرت إلى ديكون، فوجدت أنه يراقبها. تبادلا هز الرأس حزناً على جون. قال ديكون محاولاً أن يبدو واثقاً: «بعد الفطور، سأذهب إلى منزل عائلة ولسون. ربما ذهب ميتشي إلى هناك. إنهم قادمون جدد إلى المنطقة، وهم لا يعرفون أصحاب الحيوانات المتجولة».

سألت هانا: «ألا يحمل طوق ميتشي رقم هاتف الفندق؟».

قال هذا الأخير محاولاً أن يمنع انفجاراً جديداً من البكاء: «ربما أضاع الطوق».

هزت هانا رأسها وهي تقول: «آه، صحيح! هذا ما يحدث على الدوام».

في الواقع، هي لا تعلم إن كان ذلك يحدث أم لا. تمتمت جون: «إنه طوق قديم. اذهب إلى هناك ديكي».

ولمع الأمل في عينيها الحمراوين.

سُمعت ضجة من مدخل المطبخ، ثم علا صوت عجائبي. إنه نباح كلب! بعد مرور لحظة سُمع وقع قدمي ميتشي عبر القاعة الأمامية. للحظة حدق الجميع ببعضهم البعض، وبدا كأن السؤال معلق فوق رؤوسهم: أيمكن أن يكون ذلك صحيحاً؟ نهضوا جميعهم في اللحظة نفسها. مع أن ديكون وهانا كانا الأسرع، إلاّ أنهما سمحا لجون بالدخول قبلهما إلى القاعة واتسعت عيناها، وصاحت: «ميتشي! حبيبي! صغيري!».

ببطء ووهن سقطت على ركبتيها، ومدت ذراعيها، فركض الكلب الهرم الرمادي اللون باتجاهها. لحس وجهها وهمهم بفرح. علمت هانا أن ميتشي أمضى ليلة صعبة جداً من خلال الوحل الذي يلطخ وبره. مع ذلك بدا الحيوان بصحة جيدة.

صوت آخر سُمع بعد ذلك حين دخل روث خلف الكلب. كان يرتدي سروال جينز وقميصاً قطنية ناعمة ذات قبة مفتوحة، زرقاء كلون عينيه تماماً. بدا متعباً جداً. سرواله وحذاؤه الرياضيين ملطخان بالوحل، وهناك أعشاب عالقة بقميصه. بدت ملامح وجهه قاسية، أما عيناه فتلمعان بعاطفة غير مقروءة. لاحظت هانا وجود لطخة من الوحل على وجهه، لكنها لا تنتقص مطلقاً من وسامته. على العكس، فهي جعلته يبدو أكثر إنسانية وقيمة. من الواضح أن روث هو من وجد ميتشي. لم تستطع هانا استيعاب ذلك. حدقت به ببساطة مقطبة جبينها من شدة الارتباك. سألته: «ما الذي فعلته؟».

رمقها روث بنظرة حالمة. هز رأسه، وتابع سيره نحو الدرج مبتعداً عن المجموعة. أمسكت هانا بيده، وسألته: «لماذا بدلت رأيك؟».

نظر إليها للحظة، وسرعان ما أشاح ببصره بعيداً عنها. قال بنبرة

جامدة: «عندما كنت في الخامسة من عمري، كان لدي كلب، لكنه ضاع مني. لم يُسمح لي يومها بالذهاب للبحث عنه، ولم أره بعد ذلك أبداً».

أبعد روث يده عن قبضتها، وتابع قائلاً: «أتذكر تماماً ما شعرت به حينها».

سار مبتعداً عبر القاعة، فيما وقفت هانا هناك وهي تشعر بالارتباك. إنه الرجل القاسي القلب نفسه الذي يحاول سرقة منزل جون! مع ذلك أمضى روث جزءاً كبيراً من الليل في البحث عن كلبها الهرم الضائع. لمعان الألم الذي لمحته في عينيه بسبب ذكرى فقدان حيوانه الأليف منذ زمن بعيد أثر فيها بشكل قوي. تلاشى كرهها وعداوتها له، وحل مكانهما شوق وتعاطف كبيرين. شعرت هانا برغبة قوية للركض خلفه والتخفيف من ألمه.

٧ - ليلة المغامرات

لم تكن الساعات الأربع والعشرون الماضية عادية بالنسبة لروث، بدءاً من عناق هانا اللامنطقي، حتى عملية إنقاذ الكلب. كلاهما تصرفان لا يشبهانه، فقد تصرف كشخص لا يعرفه حتى.

وقف تحت رذاذ الماء ليغسل عنه آثار الليل. عند الساعة الثانية فجراً، تذكر أن هناك فجوة بالقرب من الكهف، من المحتمل أن يكون ميتشي قد علق فيها. من الصعب أن يتمكن شخص من إيجاد تلك الفجوة إلا إذا كان فعلاً يعرف بوجودها، كما أن من الصعب أن يعبرها بنجاح مخلوق صغير الحجم يسير على أربع أقدام، لاسيما إن كان يعاني من أوجاع في المفاصل.

عندما كان روث صغيراً، كان يجد صعوبة في العبور من خلال تلك الفجوة، وما إن اكتشفها، حتى أصبحت من الأماكن المفضلة لديه.

من المستحيل سماع نباح كلب من ذلك المكان. والباحث عنه قد يمر على بعد عشر خطوات ولا يعلم مطلقاً أنه هناك. لهذا، وتكريماً لحيوانه الأليف الذي فقده منذ زمن بعيد، أمضى روث معظم الليل في بذل المزيد من الجهد لتحديد مكان كلب جون وإنقاذه. البيئة المحيطة بالمكان تغيرت كثيراً عبر السنين، فالشجرة القديمة التي كانت نقطة الارتكاز للوصول إليه اختفت، وحلت مكانها شجرة جديدة، كما أن الظلام حالك والغابات مليئة بالأعشاب والنباتات المتسلقة.

جال روث في المنطقة باحثاً لساعات قبل أن يتمكن من تحديد الموقع، وعندما فعل ذلك أخيراً، وزحف إلى الداخل، وجد الكلب

هناك متكوراً في قعر الفجوة، وهو خائف، جائع ومليء بالاوساخ. الاحساس بالرضى الذي شعر به عندما أمسك بالكلب، عوض عليه الكثير من العذاب، كما خفف من إحساسه بالذنب لأنه لم يذهب للبحث مع هانا عندما طلبت منه ذلك. افترض أنه ما زال غاضباً منها بسبب ما قالته عندما كانا في غرفته ذلك الصباح، وبسبب موافقتها السريعة على دعوة الشريف للذهاب معه في نزهة. وعندما أتت إليه طالبة المساعدة، انفجر بها، مفرجاً عن إحباطه عليها وعلى ذلك الكلب المسكين.

عاد روث إلى منزل طفولته ليستعيد حباً للحياة فقده عبر السنين. وجد روحاً جديدة في خطته لإعادة تجديد ممتلكات جون، لكن هانا هودسون هبّت في وجهه كملاك منتقم وصرخت به: لا! لن تفعل ذلك. وجد روث تدخلها مزعجاً كالجحيم، وهذا كاف ليجعله راغباً في الابتعاد عنها. مع ذلك، ما إن رآها على الشرفة البارحة حتى أصيب بشيء من الجنون. في تلك اللحظة بالذات استدارت هانا، ولاحظت وجوده. جمدت في مكانها، وابتعدت شفتاها عن بعضهما قليلاً، أما عيناها الجميلتان فاتسعتا من المفاجأة، وظهرت الحيرة فيهما. منظرها هذا سحره وأثر فيه رغماً عنه. أمر آخر شعر به بقوة أيضاً، هناك شيء أشبه بخيط من حرير يربطهما ببعضهما. إنه خيط خفي ورفيع إلا أنه قوي كالفولاذ. إنه رابط يصلهما معاً ويدفعهما بشكل محتم نحو بعضهما.

وضع الصابون على شعره، ثم غسله تحت المياه المتدفقة. إنه متعب حتى أعماق روحه. رفع وجهه مستمتعاً بالمياه المنهمرة. هو ليس معتاداً على الإحساس بتعقيدات في علاقاته مع الجنس الآخر. ما إن تنتهي العلاقة مع إحداهن، حتى يكف عن التفكير بها. أما مع هذه المرأة المزعجة، الدائمة الغضب فالأمر مختلف. لماذا لا يستطيع إبعادها عن أفكاره؟

أخيراً، أقفل صنبور المياه، ثم تمتم كاذباً بصوت عال: «أنا متعب

فقط». آملاً أن يتحول ما تفوه به إلى حقيقة ما إن يصل أذنيه. في الواقع، في اللحظة التي غادرت فيها هانا غرفته بدأ بالشوق إليها. شوق لم يستطع أن يفهمه، ولم يتمكن من التخلص منه.

ما إن دخل روث إلى غرفته حتى جمد في مكانه على الفور. لدهشته، وجد هانا واقفة هناك، وعيناها الواسعتان تحبسان الأنفاس. بدت تعابير وجهها هادئة، بل هي حزينة إلى حد ما. قال والدهشة واضحة في نبرة صوته: «ماذا تفعلين هنا بحق الجحيم؟».

لم تجب هانا على الفور. بعد مرور لحظة، تحركت متقدمة نحوه، ورفعت كتفيها. نظرت إليه بعينيها الزرقاوين الواسعتين، وهمست: «جئت أشكرك لأنك وجدت كلب جون. لابد أنك واجهت صعوبة في إيجاده، فقد بدوت متعباً تماماً».

لو أنها أقل جمالاً، أو أقل جاذبية، لتمكن روث من المقاومة كما يملي عليه المنطق والعقل. لكن رؤيتها واقفة هناك، تقدم الشكر له بنعومة وبشيء من الحزن، تجعل مبادئه هشة، وغير فعالة. مع ذلك أجابها بهدوء: «لست مضطرة إلى شكري لقيامي بذلك».

إنه يتوق إلى لمسها... إلى معانقتها، لكن...

قالت متلعثمة: «آه! أعرف... لكن... في الواقع، أردت المجيء إلى هنا لأشكرك، لا أعرف لماذا».

روث ليس رجلاً ضعيفاً، لكن شيئاً ما في عيني هانا جعله كذلك. أبعد الحكمة عن أفكاره وأمسك بيدها. تمتم وهو يضمها إليه: «ربما معاً، يمكننا أن نفكر بسبب ما».

* * *

تعلم هانا أن تلقائيتها قد تجرفها كالسيل، لكن أن تفعل شيئاً بمنتهى الجنون كالدخول إلى غرفة روث جيرك، والسماح له بمعانقتها ومغازلتها فقط لأنه أنقذ كلب جون.

- حمقاء! غبية! مجنونة!

ضربت وسادتها بقوة. ألا يكفي أنها ارتكبت تلك الحماقة حتى تبقى أيضاً مستيقظة، وهي تشعر بتأثير عناقه وكأنها ما زالت بين ذراعيه؟ لماذا تشعر بالانجذاب إلى روث جيرك من بين كل الناس؟

بغضب وقلق قفزت هانا من السرير راغبة في الحركة، لتتخلص من هذه الطاقة المتعبة. تحت جنح الظلام، أمسكت بالسروال القصير والقميص اللذين كانت ترتديهما خلال النهار، وأسرعت في نزول الدرج حافية القدمين. خرجت من المنزل من باب المطبخ، واتجهت مباشرة نحو البحيرة. تذكرت أنها في وقت سابق رأت قارباً بمجذافين على الأرض الموحلة قرب المياه.

دفعت القارب القديم إلى المياه، وصعدت إليه. بدأت بالتجذيف، وهي تتنفس بعمق آملة نسيان روث. في الواقع، بالرغم من غضبها فهي لا تزال تشعر بآثار عناقه، ولمساته التي أيقظت أحاسيسها.

- لماذا قُدر لي أن أعيش هذه التجربة مع شخص أكرهه وأحاول الابتعاد عنه؟

رفعت رأسها، وراحت تجذف بكل ما لديها من قوة. في مكان ما، وبطريقة ما، فقدت بوصلة أفكارها ومبادئها في عيني روث الزرقاوين، وانحرفت إلى بحر عاصف من الندم والارتباك. هذا الرجل لا يفكر بها مطلقاً، مع ذلك دخلت إلى غرفته وعانقته برضاها. هل ستكون هذه الواقعة موضوعاً جديداً للهزء والسخرية منها؟

بطريقة ما، ومع كل ما تشعر به من العذاب، حقيقة دقيقة لمعت في رأسها. قدماها غارقتان في الماء! نظرت إلى قدميها، فرأت أن المياه تغطي كاحليها. لم تستطع التفكير إلا بأمر واحد: لابد أن القارب فيه صدع ما!

واجهت هانا الحقيقة المرة: إنها ليست سباحة ماهرة! وصلت المياه إلى ما دون ركبتيها، فعاشت لحظات من الرعب الحقيقي. أصبح القارب الآن مليئاً بالماء ومن الصعب أن يتحرك. فجأة، انزلقت مقدمته

تحت سطح البحيرة، واندفع الماء إليه، دافعاً بهانا إلى عمق المياه. تمسكت هانا بقوة بمؤخرة القارب التي بقيت فوق الماء بطريقة عجائبية. بدا ذلك إنقاذاً مؤقتاً لها، على الأقل في الوقت الحاضر. ما هي إلا لحظات حتى ارتفعت المياه ووصلت حتى أنفها، فسعلت وقذفت المياه من فمها حتى شعرت بألم في صدرها وحلقها. أخيراً تمكنت من التنفس من جديد، وأدركت كم تؤلمها ذراعاها بسبب تمسكها بقوة بمؤخرة القارب. بالرغم من المياه التي تلطم أذنيها، اعتقدت هانا أنها سمعت صوتاً يناديها. لم تعد متأكدة إن كانت تهذي أم لا، إلا أنها استدارت نحو الصوت الذي بدا كأنه قادم من جهة الشاطئ.

- هانا، تماسكي!

رأت شخصاً يسبح باتجاهها، ولم يكن من الصعب عليها معرفة هويته. كيف عرف روث بمكانها؟ كيف عرف أن قاربها يغرق؟ هل الرجل وسيط روحاني، أم أن صلواتها لم تكن صامتة كما كانت تعتقد؟ أتراها صرخت بأعلى صوتها؟ وبخت نفسها بقوة: كيف تسمحين لنفسك بالانهيار؟ يمكنك أن تسبحي. هل ستسمحين لروث أن يراك ضعيفة من جديد؟

استمر روث في التقدم نحوها، وهو يضرب المياه باندفاع قوي. وصل إليها بعد عشر ثوان فقط.

صرخت: «روث، عد إلى السرير. أنا بخير».

صاح قائلاً: «ماذا؟».

أفلتت إحدى يديها، ولوحت بها نحو الشاطئ وهي تقول: «اذهب إلى النوم. أنا بخير».

- لماذا إذاً رحت تصرخين «ساعدوني» بأعلى ما تملكين من صوت.

بدا من الصعب عليها الرد بجواب مقنع، لذلك اتخذت أسهل الطرق، ألا وهو الصدق.

- أصابني الرعب، والآن أنا بخير. يمكنك مقاضاتي.

سألها: «أحقاً؟ لكنك متمسكة بقارب يغرق».

ترددت هانا، ولم تدرِ بماذا تجيب، ثم قالت: «أنا ألتقط أنفاسي».

قال: «أتمنى أن تكوني قد فعلت ذلك، لأن القارب على وشك الغرق كلياً».

ما هي إلا لحظة حتى انزلقت مؤخرة القارب تحت الماء، فشعرت هانا بالمزيد من الخوف. رفست المياه بقوة كبيرة لتتمكن من إبقاء رأسها فوق الماء، وقالت: «أنا راشدة، ويمكنني السباحة إلى الشاطئ من دون تدخل منك».

أخذت نفساً عميقاً، ثم تابعت: «فقط، اذهب من هنا».

بقي روث مكانه. تفحصت هانا المسافة التي تفصلها عن الشاطئ. بإمكانها أن تقطع هذه المسافة. أليس كذلك؟ من المؤكد أن تصميمها وغريزتها القوية في البقاء ستساعدانها على قطع هذه المسافة بكفاءة.

قال روث بنبرة أظهرت غضبه بوضوح: «هانا! جزء من الكفاءة هو أن تعلمي متى تطلبين المساعدة».

بالرغم من محاولتها، لم تتمكن هانا من اجتياز أي مسافة، فأخذت تضرب المياه بغضب. شعرت أن الجزء السفلي من جسمها ينحدر نزولاً. يا إلهي! إنها تغرق. أخذت تقاوم وهي تسعل وتشهق، تحركت قليلاً، فأصبحت تحت الماء. رفعت رأسها وهي تبصق الماء وتشهق، لكنها تمكنت من التقدم قليلاً. فجأة وجدت نفسها بجانب روث. هل سبحت تلك المسافة أم أنه تقدم نحوها؟ مهما يكن، حان الوقت لتواجه الحقيقة، لن تتمكن من النجاة بمفردها، وهي بالطبع لن تفضل الغرق على طلب المساعدة. أمسكت بكتفيه، ثم قالت وهي تلهث: «حسناً! أنا بحاجة إلى المساعدة».

توقفت عن الكلام لتخرج الماء من فمها.

- يسعدني ذلك. تمسكي بي بيديك الاثنتين.

أمسكت هانا بكتفيه بسرعة وقالت: «حسناً، حسناً! ابدأ بالسباحة. سأتمسك بك بقوة».

لم تكن لديها القدرة على الشجار، لذا تمسكت به جيداً. بدأ روث بالسباحة نحو الشاطئ بمهارة ورشاقة. بعد قيامه بعدة ضربات قوية بدأت تشعر بصعوبة التمسك بكتفيه، فالمياه تجعل بشرته زلقة. أسرعت بالتمسك بعنقه، ما جعل وجهها قرب أذنه. قالت: «أجد صعوبة في التمسك بكتفيك. أيناسبك هذا، أم أنني أعيق عملك؟».

سألته ذلك، لأنها لا ترغب في ازعاجه وهو يسبح. أجابها روث: «ليس أحب إليّ من أن تطوقني ذراعاك».

تفاجأت هانا بصراحته، وشعرت بالخوف من مشاعرها، فتركته، وعلى الفور بدأت بالغرق. بعد مرور لحظة، شعرت بيدين ترفعانها فوق الماء، فشهقت بسرعة جرعة من الهواء المنعش.

- لا أعرف لماذا أستمر في إعادتك إلى سطح الماء؟ لم أقابل يوماً امرأة متقلبة مثلك. فأنت تتحولين من البرودة إلى الحرارة بأسرع من لهب النار. ألا يمكنك الاستقرار على حال؟

سعلت لتتمكن من الكلام بوضوح: «ركز على ما تفعله، فأنا أغرق».

أطلق روث زفرة وهو يشتم، ثم قال: «سأحتفظ بأفكاري لنفسي، وأقلك فقط إلى اليابسة».

- شكراً.

أغمضت هانا عينيها، محاولة ألا تفكر كم تشعر بالانجذاب إليه. من المؤكد أنه ليس سباحاً عادياً أو بسيطاً، فهو يسبح بمهارة وقوة كبيرتين. ليتها تستطيع إيجاد نقاط ضعف لديه، فلربما سيخفف ذلك من قوة انجذابها إليه.

أطلقت زفرة قوية غير راغبة في الاحساس بقوة عضلاته. لماذا؟ آه! لماذا يصر القدر على أن يجعل روث شاهداً على هزائمي؟

٨ - تسوق واستجواب

وصلا إلى المياه الضحلة، فوقف روث وبدأ بالسير. بعد قليل سألها: «هل ترغبين بأن أحملك طول الطريق حتى غرفتك؟

سمعت هانا وقع قدميه في الماء وهو يتحرك نحو الشاطئ. يا إلهي! هي ما زالت متعلقة به.

- آه... آسفة!

تركته وانزلقت إلى المياه. في الوقت الذي تمكنت فيه من الوقوف على قدميها، كان روث قد سبقها بعدة خطوات. سطع ضوء القمر على كتفيه العريضتين، وظهره القوي وعضلات ساقيه الطويلتين. ضغطت هانا على أسنانها، وأجبرت نفسها على إشاحة بصرها عنه.

ما إن وصل إلى اليابسة، حتى فاجأها بالارتماء على العشب مستلقياً على ظهره. شبك أصابعه ببعضهما، ووضعها خلف رأسه، وراح يحدق في السماء. بدا متعباً جداً. حاربت بقوة رغبتها في الاستلقاء بجانبه، وتابعت سيرها نحو الفندق. مدّ روث يده وأمسك بكاحلها. فاجأها ذلك بشدة حتى إنها كادت تقع. سألها: «هل ستذهبين بهذه السرعة؟».

لم تجد أمامها أي خيار إلا أن تتوقف، وتنظر إليه. التقت عيونهما، فغلفت ابتسامة صغيرة فمه وهو يضيف: «ابقي برفقتي».

رأت هانا الشوق يلمع في عينيه، وعلمت بالتحديد ما الذي يفكر به. هزت رأسها قائلة: «لا أعتقد أنها فكرة جيدة».

مال برأسه، وضاقت عيناه كأنه يفكر كم يحتاج من الوقت لإقناعها بتبديل رأيها. فشدت بقدمها وقالت: «دعني أذهب. من فضلك!».

خفف روث ضغط يده على قدمها، لكن إبهامه استمر في التحرك مذيباً مقاومتها. قالت: «لا تعني لا! دعني أذهب».

- أنا لا أمسك بك.

برهن كلامه بإبعاد أصابعه عن قدمها، مع أن إبهامه استمر في تدليك كاحلها. تلك اللمسة الناعمة أمسكت بها بقوة كأنها حلقة من فولاذ. لماذا لا تهرب لتنقذ حياتها؟

قال روث ببساطة: «يجب أن تتعلمي السباحة. سأعلمك بنفسي».

- يمكنني السباحة.

- ليس بالشكل الكافي الذي يسمح لك بإنقاذ نفسك من الغرق.

إنه على حق! عليها أن تتعلم السباحة. أوشكت أن تموت في البحيرة. قالت بنبرة غريبة حتى لأذنيها: «أجل، أجل. حسناً! أنا بحاجة إلى ذلك».

سألها بصوت أجش: «أهذا ما تريدينه فقط؟».

يا إلهي! إنه يتوقع أن تقول له إنها ترغب بأن يعانقها. هل يتصور حقاً أنها ستفعل؟ صحيح أنها تبدو هشة وكأنها مصابة بالدوار، كما أنها ترتجف، لكنها ليست في حالة مأساوية لتقول ذلك بالتحديد.

قالت بنبرة حازمة: «أدرك أنني بحاجة إلى دروس في السباحة».

حدقت إليه بغضب وتابعت: «... لكن تفاخر بعض الرجال يجعلني أفضل الغرق».

استدارت مبتعدة، فرفع روث رأسه على مرفقه، وحدق إليها ببطء. ناداها قائلاً: «غداً، الدرس الأول. لنقل عند الساعة العاشرة».

بعد أن سارت هانا عدة خطوات، أدركت أن من الحماقة أن تسمح لكبريائها بالسيطرة عليها. الليلة كادت تغرق، وهي فعلاً بحاجة إلى دروس في السباحة. توقفت عن السير، ومن دون أن تنظر إليه، قالت: «أعتقد أنه يجدر بي القيام بذلك».

سيطر الرعب عليها على الفور. هل ستملك الإرادة الكافية غداً

لمقاومته؟ شعرت بالقلق. فاستدارت وهي تشير بإصبعها نحوه قائلة: «حركة واحدة خاطئة، واعتبر نفسك رجلاً ميتاً».

بدت ملامحه الجذابة أكثر وضوحاً تحت نور القمر، كذلك بدت تلك الابتسامة الساخرة وهو يجيبها: «تسعدني رؤيتك دائماً».

* * *

أمر واحد مؤكد عرفه روث جيداً عن هانا خلال الأيام القليلة الماضية، وهو أنها في معظم الأحيان، تجد تلقائيتها جارفة كالطوفان. لكن ردة فعلها تثير غضبه على الدوام. لو أنها أكثر ترويا، لما دخلت إلى غرفته، وسمحت له بمعانقتها كما فعل.

سرعان ما انتبه لنفسه ولأفكاره تلك، فهو لا ينغمس في تجارب رائعة. فحياته منطقية، تسير بدقة محسوبة، وهو مسيطر تماماً على كل ما يقوم به. أوقف انهمار المياه، ثم وقف جامداً مكانه، وهو يشعر بعقدة قوية في أحشائه. منذ زمن بعيد جداً دفن روث الجانب الضعيف منه مع انهيار زواجه، ولم يتوقع مطلقاً أن يرغب مرة في استعادته. لكن لقاؤه مع هانا جعله يشعر بأمان، وسمح له أن يكون أكثر حرية وارتياحاً. فكرة ساخرة جديدة مرت بباله: طبيعتها المتعاطفة جذبته تماماً كما يجذب القمر المدّ في البحار، فهانا تهتم لجون، امرأة التقت بها مؤخراً. إثر هذا التعارف القصير، قامت باتخاذ قرار سريع عقيم، بأن تربط نفسها ومصيرها العملي باستثمار جون الفاشل. قرارها اللامنطقي المتهور يزعجه كثيراً، مع ذلك فإن إظهار مثل هذا التعاطف ويثير إعجابه.

لم يأتِ روث إلى منزل العائلة القديم ليفتح الجروح القديمة أو ليقع في الغرام. جانيس كانت آخر غلطة عاطفية في حياته. رمى المنشفة إلى السلة الكبيرة، وذهب إلى غرفته. ارتدى سروال الجينز، واختار قميصاً ناعمة من الكتان، وانتعل حذاء خفيفاً، ثم اتجه إلى الطابق الأرضي لتناول الفطور. ما إن دخل غرفة الطعام حتى لاحظ أن الشريف يجلس بارتياح على رأس الطاولة. حسناً! لا يجدر بهذا الأمر أن يزعجه.

وجه كلامه إلى الرجل الآخر: «لابد أن نهار العمل لديك يبدأ باكراً. هل معدل الجريمة في هذه المنطقة سيء هذه الأيام؟».

ملأت رائحة عطر هانا الهواء قربه، فتنفس بعمق أكثر مما هو ضروري وهو يهز رأسه بطريقة ودية إلى مونا وجون.

ضحك ديكون وهو يجيب: «الأوضاع هادئة هذه الأيام».

جلس روث على مقعده، محاولاً أن يحافظ على مظهره الفرح المخادع.

- صباح الخير، روس!

رفعت جون إبريق القهوة، ومدّت يدها باتجاهه وهي تتابع: «بدأنا نظن أنك مصمم على النوم معظم النهار».

حاول روث أن يبدو غير مهتم. نام بشكل سيء جداً ليلة البارحة، فتلك السباحة في منتصف الليل، فيما هانا قريبة جداً منه، حرمته من أي نوم ممتع.

- آه! أعتذر عن التأخير.

- لا تقلق. قررت أن أحتفظ لك بطبق جاهز ساعة تشاء. في النهاية، إن لم يستطع المرء النوم أثناء عطلته، فمتى سيفعل؟

لم يشعر روث أنه في مزاج مناسب للثرثرة، لكنه حاول ألا يدع مزاجه النكد يظهر عليه. قال: «لا أحد يعلم».

أمسك بإبريق القطر، ومال بيده نحو هانا. تلامست أيديهما، وعلى الفور التقت عيونهما. شعر روث بمزيج من التأثر والغضب في اللحظة ذاتها، وهذا لم يحسن مزاجه على الإطلاق، إذ بدا من الواضح أنها لا تشعر إلا بالاشمئزاز من جلوسه قربها. قال بتهذيب: «صباح سعيد، هانا. هل نمت جيداً؟».

ظهر الذهول على وجه هانا ما إن وجّه الحديث إليها. أبعدت نظرها عنه، وجالت به حول الغرفة، كأنها تبحث عن مكان أكثر أماناً. كورت شفتيها بابتسامة متكلفة، وأجابت: «أجل، نمت جيداً. شكراً لك. من الواضح أن هذا ما حدث معك أيضاً».

فكرت أنه يستطيع الكذب تماماً كما تفعل، لكن روث ابتسم ابتسامته الجذابة، وقال: «كرجل ميت. قيامنا بالسباحة تحت ضوء القمر هو السبب. ذهبت إلى النوم مباشرة بعد ذلك».

بعدئذٍ غمزها، وتلقى مقابل كلامه الوقح نظرة استغراب من عينيها الجميلتين. فتحت هانا فمها لتتكلم، لكنها لم تستطع التلفظ بأي كلمة.

سألتها جون: «هل ذهبتِ للسباحة ليلاً؟».

وضعت هانا إبريق القطر على الطاولة، وركزت انتباهها على جون، ثم على ديكون وهي تقول: «لا! في الواقع. خرجت للتنزه على القارب الصغير، لكنه بدأ يرشح منذراً بالغرق، و... حسناً! أعتقد أنني صرخت أو شيء من هذا القبيل، إذ فجأة...».

بدا كأنها تعاني من مشكلة في لفظ اسمه وهي تنظر إليه. حدقت باشمئزاز فيه، وأخيراً تمكنت من القول: «... ظهر روث، وبطريقة ما ساعدني قليلاً».

علق روث، وهو يحاول بشدة أن يخفي إحباطه: «من فضلك! ما هذا المديح؟ أنت تحرجينني».

رمته هانا بنظرة هادئة، محاولة الانتهاء من النقاش.

سألها ديكون: «ألا تجيدين السباحة؟».

نظرت هانا إلى الطبق أمامها للحظة، قبل أن تهز رأسها قائلة: «ليس بمهارة كافية».

ضغطت جون يديها إلى وجهها، وقالت بنبرة استغراب: «يا إلهي! لابد أنك شعرت بالخوف وأنت هناك في ذلك القارب المتصدع. كان عليّ التخلص منه منذ زمن طويل».

رفعت نظرها إلى روث، وأكملت: «أنت بطل حقيقي، يا عزيزي».

قال ديكون: «بالطبع، هانا محظوظة لأنك وصلت في الوقت المناسب».

ظهر القلق في عينيه. نظر إلى هانا باهتمام، وتابع: «ليست فكرة جيدة أن تذهبي للسباحة بمفردك، لاسيما في الظلام».

ابتسمت له هانا، وملامح وجهها تظهر خجلاً واضحاً، قالت: «لم أكن فعلياً أسبح».

علق روث: «كانت تغرق».

حدقت به، وأجابت: «كنت أجذف بالقارب».

ابتسم روث، وهو يشعر بذلك الاحساس الرائع بالتحدي، ثم قال: «عندما وصلت إلى هناك كنت تجذفين نحو قعر البحيرة».

أطلقت هانا تنهيدة قوية من حلقها بدت كأنها شتيمة.

سألته: «ما الذي تريده؟ أتريد نجمة ذهبية لإنقاذك حياتي؟ أو ربما أن يكتب اسمك في الصحيفة تحت عنوان كبير: روث جيرك أنقذ حياة موظفة ساذجة سابقة لديه؟».

ودفعت نفسها لتقف وهي تتابع: «سأرى ما الذي أستطيع أن أفعله لغرورك المنتفخ أثناء وجودي في غروف».

ثم سارت حول الطاولة لتقف بجانب الشريف، وتقول: «عرض عليّ ديكون التنزه وأنا أقوم ببعض المشتريات».

وضعت يدها على كتف الشريف، الذي لم يتوقع لمستها. قالت بنبرة فاقدة لأي صبر، وتدل بوضوح على أنها ترغب في المغادرة الآن: «متى تصبح جاهزاً، ديكون؟».

بابتسامة مرحة، نزع المنديل عن حضنه، قائلاً: «أنا جاهز منذ الآن».

قالت هانا وهي ترمي روث بابتسامة متكلفة: «أخشى القول إن علينا أن نؤخر دروس السباحة تلك. ما رأيك بكلمة مطلقاً؟».

نظر روث إليها بحزن. ابتسم لها ابتسامة توازي نبرة صوته الساخرة وهو يقول: «أي شيء يجعل حياتك أسهل، عزيزتي. لكننا رأينا معاً ما الذي يحدث عندما لا تسير الأمور معك بشكل جيد».

غابت ابتسامتها المتكلفة، وقالت: «هيا، ديكون!».

مدّت يدها لتمسك بيده، وعندها فقط أشاحت بنظرها عن روث وهي تتابع: «إنه لطف منك أن تعرض علي التنزه في غرووف».

وقف ديكون وهو يبتسم لها قائلاً: «يسعدني ذلك».

افترض روث أن ديكون يشعر بانجذاب كبير نحو هانا، وإلا لما ظهر في الفندق يومياً منذ الصباح. بالطبع هو لا يأتي إلى هنا من أجل فطائر جون الشهية. يبدو أن خطة جون ناجحة تماماً.

قال ديكون لمضيفته: «شكراً على الفطور».

هز رأسه مودعاً مونا وروث، ثم أمسك بمرفق هانا ورافقها في الخروج من الفندق.

ضغط روث على أسنانه بقوة، وحاول أن يركز على قطع شريحة من الفطائر. لماذا يؤثر به كره هانا له إلى هذا الحد؟ ولماذا يهتم إن قام الشريف الوسيم بمرافقتها إلى غروف؟ ما همه لو كانا الآن بالتحديد غارقين في عناق محموم في المقعد الخلفي لسيارة الشرطة؟

* * *

استمتعت هانا برفقة ديكون. راقبت العديد من النساء في غرووف وهن يمرن بقربهما، وبدا لها أنهن يتمنين لو أنهن مكانها. إنه، بدون أي شك، شخص مميز. تمنت لو أنها تستطيع أن تقع في غرامه بجنون، لكن يبدو أنها تعاني من إحساس لا أمل بالشفاء منه حيال روث جيرك مهما حاولت أن تخفي ذلك. جلست قبالة ديكون إلى مائدة بين مقعدين مرتفعي الظهر في مطعم للهمبرغر بسيط. الطعام أيضاً بدا بسيطاً، وهو عبارة عن همبرغر وسندويشات مختلفة الأنواع، لكنها شهية الطعم. توقف معظم الزبائن أمام طاولتهما ليلقوا التحية على الشريف الوسيم. رمت بعض النساء هانا بنظرات حاسدة وهن يحيينه ويبتسمن بتكلف. تقبلت هانا تلك النظرات بامتنان وود، فهي لا تشعر بالظفر بسبب حظها الجيد، ما دام قلبها مصراً على التوق بشدة إلى رجل آخر، رجل لا يقارن بواحد من عشرة من الشريف الجذاب ديكون فانس.

قال ديكون جاذباً إياها من أفكارها المضطربة: «هل ترغبين بتناول الحلوى؟».

ابتسمت هانا، وأجابت: «أي شيء بدون سكر أو دسم».

ضحك قائلاً: «أتعنين الماء؟».

وضعت منديل الطعام قرب الطبق، مفكرة بما قاله، ثم قالت: «أعتقد أنني شربت ما يكفي من الماء مؤخراً».

عندما التقت نظراتهما من جديد، ولاحظت أنه منزعج، فسألته: «هل هناك سوء ما؟».

هز رأسه، وقال: «كل ما في الأمر أنني انتشلت عدداً من الضحايا من البحيرة، ولا أحب أن...».

لم ينهِ ديكون جملته. لكنها فهمت جيداً ما أراد قوله.

- ركوبي ذلك القارب ليلة البارحة هو عمل بمنتهى الغباء مني.

انزلقت يده لتأخذ يدها. ضغط عليها، وقال: «لا أفكر للحظة أنك امرأة غبية، هانا. لماذا فعلت ذلك؟».

من المؤكد أنه يعلم كيف يصيب المرمى مباشرة بأسئلته. ابتسمت هانا له بحياء، وقالت: «هل تستنطق الكثير من الناس؟».

ابتسم ديكون، لكن ابتسامته لم تصل إلى عينيه. قال: «لم أقصد أن أضعك في ذلك الموقع».

سمحت له أن يمسك بيدها، فيده لطيفة، كبيرة وطويلة الأنامل. هزت رأسها لتؤكد له: «لا أشعر أنني في موقع الاستنطاق. لا... حقاً! كل ما في الأمر، يراودني شعور بأنك تجد قراري في الذهاب في قارب للتجذيف نابعاً عن الانزعاج أو القلق أو أي شيء آخر. وهذا صحيح. كنت... أنا... أقصد، لدي ميل فطري إلى التسرع».

- التلقائية هي صفة جيدة. زوجتي...

توقف عن الكلام، وغابت ابتسامته قبل أن يتابع: «زوجتي كانت تملك روحاً شفافة وتلقائية».

عادت ابتسامته إلى وجهه وهو يتذكرها متابعاً: «... وكانت تلك واحدة من أهم الصفات الغالية لدي».

رأت هانا الألم في أعماق عينيه، وسمعته في نبرة صوته المتوترة.

- ثمة أوقات لا أقدّر فيها هذه الصفة في نفسي، كليلة البارحة على سبيل المثال.

ضغط ديكون على يدها، بطريقة ودية، وقال: «أمثالي من الناس، تلك النوعية المحافظة، المملة والمتعلقة بالقوانين، تعجب بها».

وضعت يدها الثانية فوق يده التي تمسك بيدها، ثم مالت إلى الأمام، وهمست: «سأخبرك سراً، ديكون: أنت لست مملاً أبداً، والنساء أمثالي يعجبن بالأشخاص القديرين مثلك، فأمثالك هم الصخرة التي يحتاج إليها من هم مثلي. نحن نربط شخصياتنا التي تشبه طائرات الورق إلى أشخاص كالصخور مثلك، وهكذا نستطيع أن نطير مع هبوب الريح، ونحن نعلم أننا لن نرتطم بجذع شجرة، لأننا بأمان ما دمنا متشبثين بتلك الصخور الثابتة».

لمعت عيناه بالرقة، وخفت الألم العميق فيهما. قال: «اعتادت جنيفر على قول كلام قريب جداً من هذا».

- كانت امرأة محظوظة، ولابد أنها كانت تعلم ذلك.

ضغطت هانا على يده بعطف، ثم سحبت يدها. قالت: «أخذت ما يكفي اليوم من وقتك، ديكون. ألم تقل لي إن لديك موعداً عند الساعة الواحدة في مكتبك في جاي؟».

هز ديكون برأسه، ثم رفع يده عن يدها لينظر إلى ساعته. قال: «لدي ما يكفي من الوقت لأعيدك إلى الفندق قبل اجتماع عملي».

نهضت هانا عن مقعدها، وقالت: «أقدر لك ما فعلته».

أمسك بذراعها، وأجاب: «يسعدني ذلك. والآن، ما الذي كان يزعجك بذلك المقدار، وجعلك تشعرين بالرغبة في الذهاب للتجذيف في منتصف الليل؟».

رفعت حقيبة يدها إلى كتفها متجنبة النظر إلى عينيه. تمنت أن يكون الموضوع قد أقفل، لكن...

- آه! لنقل إنني لم أجد صخرتي الآمنة القوية بعد.

قال وهو يمسك الباب كي تمر أمامه وهما خارجان: «فهمت».

ما إن أصبحا في سيارة الشرطة، حتى ساد بينهما صمت متعاطف لفترة، ثم قال: «اعتقدت أن للأمر علاقة بروث جيرك».

تفاجأت هانا، ولم تستطع التلفظ بأي كلمة لعدة ثوان. بعد ذلك نظرت إلى ديكون، وسألته: «لماذا...؟ لماذا فكرت بذلك؟».

رماها بنظرة غامضة: «مجرد حدس داخلي».

- في الواقع لست معجبة بالرجل كثيراً. فهو يحاول سرقة ممتلكات جون.

قال مفكراً: «أخشى القول إن شخصاً ما سيفعل ذلك إن لم تتحسن أمورها، فهي مدينة بمبلغ كبير لمصلحة الضرائب. بعد مرور سنة واحدة ستعرض ممتلكاتها في مزاد علني عبر الشرطة».

قلب شفتيه، وتابع: «لست سعيداً بما يجري. إنها صديقة لي، وإبعادها عن منزلها هو آخر أمر أريد القيام به في حياتي».

- في الواقع، دفع روث الضرائب المستحقة عليها.

حدق ديكون بها متسائلاً: «أحقاً؟».

- قلت لك إنه يعمل جاهداً لسرقة منزلها منها، لكنني لن أسمح له بذلك. سوف أساعدها على تبديل أحوال الفندق إلى الأفضل.

- إن تمكنت من مساعدتها، سيكون ذلك أمراً جيداً، فهي تحب المكان كثيراً.

- هكذا، لن يصبح روث حراً في تحويل المكان إلى فندق ضخم مع حوض لرسو السفن، وجون لن تجبر على الانتقال إلى شقة يملكها لا قلب فيها ولا سحر.

- أتقصدين أنه سيؤمن لها منزلاً؟

- أجل. لكنها تحب منزلها، وهي تريد أن تعيش فيه حتى آخر يوم في حياتها.

- هممم!

إجابته المقتضبة أزعجت هانا. سألته: «ماذا؟».

نظر ديكون إليها، وأجاب: «أتمنى لك كل الحظ، لكن علي أن أقول الحقيقة. إن كان روث يخطط لإعطائها شقة، فهذا أمر في منتهى الكرم».

قطبت هانا جبينها. هل كل الرجال عديمو الشعور؟

- أعتقد أنه عمل خالٍ من الشعور، ومن يقدم عليه هو شخص بلا قلب.

ضحك ديكون بصوت عالٍ وهو يقول: «أعتقد أنني فهمت الآن».

شبكت هانا ذراعيها أمامها وقالت وهي تشعر بالارتياح: «جيد. خشيت أن تقف إلى جانب روث».

- لم أكن أتحدث عن الشقة الجاهزة.

حدقت إليه باهتمام واضح، إذ لم يعجبها ما تسمعه. قالت: «إذاً عمّ كنت تتحدث؟».

- عن سبب خروجك إلى البحيرة.

بسرعة، أبعدت هانا نظرها لتحدق إلى الخارج من النافذة. ما يجري الآن لا يعجبها مطلقاً. حسناً! لا يبعد الفندق إلا عدة دقائق فقط، وهذا من حسن حظها.

- أنت تشعرين بالانجذاب نحو روث، وهذا ما لا تريدينه.

قالت بسرعة: «هذا كلام سخيف ومناف للعقل».

انعطف ديكون بالسيارة نحو الطريق الحجرية الخاصة بالفندق وهو يسألها: «أهو كذلك حقاً؟».

أبقت هانا عينيها مسمرتين على المناظر الطبيعية. ظهرت أمامها خرائب المعبد، فركزت انتباهها عليها.

أوقف ديكون السيارة، فأصدرت الإطارات صريراً على الحصى مثيرة موجة من الغبار خلفها. قال: «ها قد وصلنا».

هزت هانا برأسها، وأجابت: «شكراً على كل شيء».

بجهد كبير التفتت نحوه، ونظرت إلى وجهه.

ابتسم لها ابتسامة من كل قلبه، وقال: «يسعدني القيام بذلك، سأحضر مشترياتك من صندوق السيارة».

- شكراً.

لم تشأ هانا أن تنتظر حتى يفتح لها الباب، فأمسكت المقبض وخرجت على الفور. أخرج ديكون عدداً من الأكياس، ووضعها قربها على الحصى، ثم فاجأها بالامساك بذقنها بين أصابعه قائلاً: «لنقم بتجربة صغيرة».

وقبل أن تتمكن من سؤاله عما يقصده بقوله، عانقها عناقاً لطيفاً. تذكرت هانا الألم الذي ظهر في عينيه عندما ذكر زوجته المتوفاة، فعلمت أنه ليس جاهزاً بعد لإقامة علاقة عاطفية. إذاً، لماذا هذا العناق؟

ابتعد ديكون عنها، وحدق في عينيها وهو يقول: «ربما هناك شيء من الصحة في نظرية جون بشأن القمر الأزرق».

سألته: «ماذا تقصد بقولك؟».

قال ديكون وهو يقلب شفتيه قليلاً: «هيا هانا! قررنا مسبقاً أنك لست امرأة غبية».

رفع الأكياس ليسلمها إياها وهو يتابع: «أحياناً يمكن لشخص غريب أن يرى بوضوح ما لا يراه الأشخاص المعنيون بأمر ما. هذا العناق أثبت أنك تبذلين جهداً للاحساس به».

استلمت هانا الأكياس وهي بالكاد تستوعب ما تفعله. قالت: «من فضلك، لا تقل إن لقائي مع روث جيرك فيما يظهر القمر عبر ثقب في حائط مهدم أمر له دلالة، لأنني كما قلت لك، لست معجبة به مطلقاً».

- أذكر ما قلته لي، لكنني شاهدت أيضاً تمثيليتك الصغيرة أثناء الفطور.

- وما هي تلك التمثيلية الصغيرة؟

لامس ذقنها بإصبعه، وأجاب: «مما فهمته أن روث أنقذ حياتك، وبدلاً من أن تظهري الامتنان له، تصرفتِ كأنه رفس كلبك، وهذا أمر غير منطقي البتة، إلا إذا كنت خائفة من الانجذاب إليه».

- هذا كلام منافٍ...

تابع غير مهتم مطلقاً باعتراضها: «...ثم عمدت إلى التصرف معي بحرية. بالطبع أنا لا أمانع بذلك، لكن كلينا يعلم أن هذه التمثيلية الصغيرة ليست لأجلي».

شعرت هانا بالذهول. قالت بصوت هادئ: «أكرر لك: أنا لست معجبة بالرجل. كم مرة يجب علي أن أقول ذلك؟».

أبعد ديكون خصلة من شعرها إلى خلف أذنها، وأجاب: «ولماذا تقولين ذلك في النهاية، يبدو لي أنه رجل محترم».

- إنه ليس كذلك. إنه عنيد، عديم الاحساس ومتفاخر.

طغت المرارة على نبرة صوتها وهي تتابع: «المعلوماتك، روث قال عني إنني بسيطة وساذجة».

أظهرت ملامح ديكون عدم تصديقه لما يسمعه: «لا أستطيع تصديق ذلك».

أجابت بسرعة: «هذا ما فعله».

قطب ديكون جبينه، وعلق: «هل قال لك فعلاً: «هانا! أعتقد أنك ساذجة؟».

لماذا يرفض أن يأخذ تصريحها كحقيقة واقعة؟

- لا. سمعت بالصدفة شخصاً يقول إنه قال ذلك.

- هذا ليس برهاناً لا يقبل الجدل بشأنه.

نظر ديكون إليها بجدية ولطف معاً، ثم تابع: «لا أشعر مطلقاً أنه يفكر بك بهذه الطريقة».

- هذا أيضاً ليس برهاناً لا يقبل الجدل بشأنه.

ابتسم ديكون وقال: «هل واجهته؟».

- لا! بالطبع لا. علمت أن وظيفتي في شركة جيرك للنفط قد انتهت، لذلك قدمت استقالتي.

- أكنت تعملين لديه في السابق؟

بدأت تشعر بقليل من الصداع، فقالت: «توقف عن استجوابي. إنها أزمة وانتهت، فدع الأمور كما هي».

بدا ديكون مهتماً فعلاً. قال: «آسف، لم أقصد أن أزعجك، لكنني لا أستطيع تخيل أن يقول أحدهم عنك ذلك».

- شكراً على ما قلته، بكل الأحوال.

أصبح النهار حاراً جداً ورطباً، فلا أثر للغيوم في السماء، أما الشمس فتتألق بأشعتها القوية الساطعة. بدا ديكون رائعاً وغير منزعج بالحرارة. فيما شعرت هانا أنها دبقة ومغضنة بسبب الحر. قال ديكون: «اسأليه عن ذلك بصراحة».

- أسأل من؟ وماذا؟

- اسألي روث إن كان قد قال حقاً إنك ساذجة.

صرخت به: «هل يمكنك أن تقفل هذا الموضوع؟ كما أنه... سيكذب».

هز ديكون رأسه، وقال: لا! لن يفعل ذلك».

بدت نبرتها ساخرة وهي تقول: «آه! اذهب من هنا، فلديك الكثير من العمل».

فاجأها ديكون بضمها بين ذراعيه. همس في أذنها: «عديني أن تسأليه. لدي شعور أنك قريبة جداً من صخرتك، لكنك لا تجرؤين على الاعتراف بذلك».

تراجع إلى الوراء، متابعاً: «أنصحك بالموافقة على أخذ دروس السباحة معه».

قبل أن يبتعد كلياً عنها ضغط بتعاطف على ذراعيها من جديد. أعلمها وقع خطواته أنه عاد إلى كرسي القيادة في الشاحنة. أغلق الباب

بصوت مرتفع، ثم بدأ المحرك بالهدير.

لم تتمكن هانا من الحركة. هل يملك الجرأة حقاً ليقول إن روث جيرك هو صخرتها؟ يا لسخافة الأمر!

سمعت صوت رجل يقول: «يمكنك أن تفكري في الابتعاد عن الطريق».

استدارت ببطء نحو الصوت.

خرج روث من تحت ظلال الأشجار. من تلك المسافة لا يمكنه أن يسمع نقاشهما. الحمد لله على ذلك! أشار روث نحو سيارة الشريف وتابع: «السيارة!».

تأخرت هانا لتستيقظ من ذهولها. تراجعت إلى الوراء وهي تقول: «آه!».

بعد أن انعطف ديكون بالسيارة ليغادر، لوح لهما مودعاً. سألها روث: «هل استمتعتِ بوقتك؟».

هزت هانا رأسها قائلة: «أجل».

لم تكن تلك كذبة، ففي معظم الوقت شعرت بالمتعة. فقط في الدقيقة الأخيرة عانت من بعض القلق.

- استنتجت ذلك.

حدقت به، مرتبكة. أمسك روث الأكياس، وراقبها بعينين غامضتين وهو يقول: «العناق... عادة ما يعني أن الأمور سارت على ما يرام».

تورد وجهها وهي تشعر بنظراته. روث جيرك ليس صخرتها. قد يكون ديكون شريفاً رائعاً، لكنه ساذج جداً في الحكم على الناس.

- حسناً! أجل، هذا صحيح. أمضيت وقتاً رائعاً مع ديكون.

اتجهت هانا نحو الفندق مبتعدة عنه.

كررت قائلة: «أجل. ديكون وأنا أمضينا وقتاً رائعاً بالفعل».

٩ - لحظة إنسانية

ناداها روث: «هل تمانعين إن سألتك سؤالاً؟».

بتردد واضح تخلت هانا عن فكرة الهروب، واستدارت لتواجهه قائلة: «ما هو؟».

اقترب روث حتى أصبح على بعد خطوتين منها، وقال: «ذكرت أكثر من مرة أنني أعتقدك ساذجة أو بسيطة العقل، وآخر مرة كانت هذا الصباح. من أين أتتك هذه الفكرة؟».

لم يمض خمس دقائق بعد على طلب ديكون منها أن تسأل روث بصراحة عن ذلك، وها هو يتحدث عن الأمر بنفسه. يا له من أمر غريب! حدقت هانا به، والغضب يغلي في أعماقها، ليظهر بوضوح على وجهها.

- أنت تعلم بالتحديد من أين أتت.

هز روث رأسه، فيما ظهر الغضب في عينيه وهو يقول: «تباً! لا فكرة لدي مطلقاً عن ذلك».

وقف هناك بجدية وصمت منتظراً ردّها. إنها تكره نفسها عندما تبدأ نبضات قلبها بالتسارع لأجله. إنها بحاجة إلى وسيلة لتقتل بها هذا الانجذاب الذي تشعر به نحو روث.

- هل تقف هنا لتواجهني بنفسك، وتقول لي إنك لم تتحدث بشأني مع ميلو؟

تنفست بصعوبة قبل أن تكمل بحزن واضح: «وهل تدّعي أنك لم تقل له إنني موظفة ساذجة؟».

بقيت نظرات روث مركزة على وجهها، وبقي صامتاً للحظة. أخيراً قال: «بل أؤكد لك ذلك».

سمعت هانا بوضوح نبرة الغضب في صوته وهو يتابع: «هل أخبرك ميلو أنني قلت ذلك؟».

أومأت برأسها أولاً، ثم هزته بقوة بعد ذلك.

- حسناً! ما الذي يعنيه ذلك، نعم أم لا؟

- نعم... لا... أقصد... سمعته يقول لعدد من الأشخاص إنك قلت ذلك، وإنه وافقك الرأي.

سُمع صوت ساخط من حلق روث.

- ميلو محامٍ ماهر جداً، لكنه أحمق بالفعل في حكمه على الناس.

شتم رغماً عنه، وأشاح بنظره بعيداً عنها إلى البحيرة. بعد مرور لحظة أعاد انتباهه إليها سائلاً: «ألهذا السبب استقلت؟».

هزت رأسها، متفاجئة من قوة انزعاجه من تصرف ميلو البغيض. الغضب لأجلها ضاعف جاذبيته عشر مرات أكثر. يا إلهي! أنقذني من الانهيار أمامه. لا أريد أن أتحول إلى كومة من المشاعر التي تتوق إليه. ذكرت نفسها بحزم أنه قد يكون غاضباً لأجلها الآن، لكن إن سمحت لنفسها بالخضوع إلى سحره يمكن لروث أن يحولها إلى غبار.

وقفت تراقب العواطف تطفو على وجهه. أخيراً خفت انزعاجه، وقال: «إذاً، حلت المشكلة».

مدّ ذراعيه في إيماءة شاملة، فتدلت حقائبها من قبضته. قال: «يمكنك العودة. الجميع يعلم أن ميلو أناني متفاخر. نصف ما يقوله عن النساء مبالغ فيه والنصف الآخر من صنع خياله».

- لم أكن أعلم بمثل هذه الأمور.

- حسناً! الرجال يعرفون ذلك.

هز روث رأسه وتابع: «يمكنني أن أتفهم لماذا اعتقدت أن عملك لن يتطور، لكن ما دام هذا الأمر غير حقيقي، ومن الواضح أنك

الوحيدة التي أعطت ميلو الأحمق هذا الاهتمام. يمكنك العودة إلى العمل فوراً».

استفسرت غير مصدقة: «العودة؟ أنت بالطبع لا تقصد إلى شركة جيرك للنفط؟».

- بل هذا ما أقصده.

حدقت به هانا وهي تشعر بالذهول.

قالت: «هل أنت مجنون؟».

هذه المرة ظهرت علامات الذهول على وجه روث، وكأنه لم يفهم سبب تعليقها هذا. قال: «أستميحك عذراً؟».

قالت هانا: «لا أستطيع العودة إلى العمل معك من جديد».

- لماذا؟ قلت لك للتو...

قاطعته قائلة: «أعرف ما قلته. وأنا أقول لك إن ذلك ليس ممكناً. فقد...».

تراءت لها على الفور الخيالات والأحاسيس التي عاشتها معه. كيف يمكنها أن تقول له ذلك من دون الإشارة إلى تلك الأمور؟

هزت رأسها وهي تشعر بدقات قلبها العنيفة في صدرها، ثم تابعت: «هناك أمور تمنعنا من العمل معاً. أنت رئيسي في العمل، ولن أشعر بارتياح لذلك».

من الواضح أن ما حصل بينهما من عناقات لا تشكل مشكلة لديه.

راقبها روث وقد تغضن جبينه. قال وقد عاد التوتر إلى نبرة صوته: «يمكنني أن أعطيك العمل الذي تريدينه».

- لا أريد أن تعطيني أي شيء، فأنا قادرة على تحقيق نجاحاتي بنفسي.

رفع حاجبيه وضحك من أعماق صدره.

- كما أنك قادرة على تحقيق الفشل أيضاً، هذا إذا أصريت على ربط نفسك بقدر فندق القمر الأزرق.

- بل إنني أصر على القيام بذلك.

قالت هانا ذلك بتوتر واضح بسبب شدة غضبها.

قال بنبرة حادة: «لا يمكن أن تكوني جدية».

- آه! بلى. مادمت تقول إنني لست ساذجة، عليك ألا تخطط لسرقة ممتلكات جون بسعر زهيد.

- إعادة هذا المكان إلى وضعه الصحيح يحتاج إلى أكثر من الكفاءة، إنه بحاجة إلى ساحر.

سيطر غضبها المتنامي على سحره الطاغي عليها. رفعت ذراعيها وحركت أصابعها بطريقة سحرية وهي تقول: «حسناً، إذاً! أبرا كدبرا».

استدارت وسارت مبتعدة إلى الفندق. هل هي حمقاء؟ لقد رفضت للتو فرصة عمل رائعة. لا، لا، هانا! جادلت نفسها بصمت. عليك أن تفعلي ذلك. كيف يمكنك رؤيته كل يوم؟ كيف ستذهبين لحضور اجتماعات معه، والنظر إليه ببساطة لأنه مديرك، متذكرة لمساته وحنانه، وأنت تعلمين أنه يواعد نساء أخريات ويتودد إليهن ويعانقهن؟

هزت نفسها بعنف. حتى لو تخلصت من ذلك الانجذاب غير المطلوب نحوه، فالعمل لديه ليس الخيار المناسب. ليس السبب فقط ما جرى بينهما من عناق، بل إن المؤسسات الكبيرة والمكاتب الضخمة العامة ليست لها. أعلمتها شركة جيرك للنفط أن طبيعتها تتناسب أكثر مع عمل عائلي صغير يتم في محيط دافئ. وهذا ما سوف يوفره لها فندق القمر الأزرق بدون أي شك.

حسناً! روث لا يعتقد أنها ساذجة، لكنها على أي حال لا تهتم لرأيه في شخصيتها. مع ذلك، وجدت نفسها تسير بقامة أطول قليلاً مما كانت عليه قبل شهر واحد.

من المحتمل أن تفشل في محاولتها إنقاذ فندق القمر الأزرق. لكن إن فعلت، لن يكون السبب أنها فاشلة في عملها، بل لأن الوضع المتأزم للفندق وصل إلى حالة ميؤوس منها. اعترتها ارتجافة. لا مجال للتفكير السلبي، هانا!

* * *

بتوتر وقلق أخذت هانا تذرع غرفتها ذهاباً وإياباً. أثناء غيابها هذا الصباح مع ديكون، قام روث من جديد بالتحدث مع جون بشأن خطته لشراء المكان. مرة ثانية، أخبرها عن رغبته في إقامة جناح خاص لها. بدت جون في حالة صعبة من التوتر والقلق عندما دخلت هانا إلى المنزل. لمدة دقيقة ونصف فقط، وقبل أن ترتمي جون بين ذراعي هانا وهي تبكي، شعرت هذه الأخيرة أن عداوتها له نقصت قليلاً. لمدة دقيقة ونصف فقط لاغير... بعد أن تمكنت من تهدئة مضيفتها، شرحت لها أنها ستحول هذا الفندق إلى مشروع رابح في غضون سنة واحدة. هربت إلى غرفتها لتستحم، وتنفس عن رعبها بمفردها. كيف يمكن للمرء أن يحول فندقاً قديماً يقع في منطقة نائية إلى مشروع رابح، وليس هناك سوى أربع غرف فقط للضيوف، وليس من مال للإعلان أو لتجديد المكان؟ وقفت تحت المياه لوقت طويل، ولم تحصل على أي إجابة سريعة أو عجائبية. حسناً! عليها أن تفكر أكثر بالأمر. لابد أن يلمع في ذهنها شيء ما. بعد مرور عدة دقائق، عقدت حزام ردائها، وقامت بجولة جديدة حول غرفتها وهي تقلب الأفكار في ذهنها بقلق.

* * *

نظر روث حوله في الغرفة. تلك كانت غرفة أخته عندما كان هذا المنزل لعائلته. تذكر كيف كانت تبدو في تلك السنوات الماضية؛ غرفة بسيطة، مفروشاتها من خشب الصنوبر وقد صنعها أبوهما، أما اللحاف الغريب الذي يغطي السرير فقد خاطته أمه من قطع قماش مختلفة الألوان. اختار روث وأخته غرايس ألوان الطلاء لغرفتي نومهما، وهكذا أصبحت غرفة غرايس برتقالية اللون. للحظات غمرته موجة من العاطفة المتدفقة السريعة. ذلك اللون البرتقالي بدا مشرقاً ومرحاً تماماً كضحكات غرايس. لم يفكر بذلك منذ زمن طويل، ومنذ زمن طويل أيضاً لم يسمع ضحكاتها المعدية، بعد أن انتقلت مع زوجها الخبير ببرمجة الكومبيوتر إلى كاليفورنيا، كما أنه بالكاد يعرف ولديها، غريغ

وريد. في أعماق ذاكرته عادت إليه ضحكة شقيقته صافية وواضحة. تذكر ذلك جعله يبتسم وهو يشعر بألم عميق في صدره.

منذ أن وصل روث إلى هنا وهو يتجنب متعمداً التفكير بالماضي، فالذكريات هي بالفعل ورطة عاطفية. أما الآن فها هي تسرع إلى ذاكرته كأنها فيض من الماء عبر سد منهار.

جلس بتثاقل على سريره وهو يحمل عبء تلك الذكريات. لا رغبة لدية في عيش حالة من الحنين من أجل لحظات طفولية أو من أجل كومة من القرميد. يمكنه صنع المال هنا... الكثير من المال، كما أن الحصول على المكان بحاجة إلى وقت قصير وإلى رأسمال قليل جداً.

جون هي مجرد مخلوقة عاطفية عنيدة جداً ولا تعرف مصلحتها، لكن هذا لا يعني أن عليها أن تقضي بقية حياتها وهي تكدح في التنظيف والطهو في هذا المنزل القديم المتهدم. تفكيرها المحدود لا يسمح لها برؤية منافع ما يخططه لها، لهذا سينقذها من نفسها. إنه اتفاق مربح لكلا الطرفين إذا نظرنا إليه من الناحية المنطقية.

تمتم: «المنطقية!».

لماذا أصبحت هذه الكلمة فاقدة المعنى فجأة؟

- ماذا هناك جيرك؟ لا تدع عينين جميلتين ولمسة يد وهمسة عن الإنسانية تخرجك عن مسارك، فأنت تعلم ما يجب عليك أن تفعله.

تأوه قبل أن يتابع: «لا تبدأ في مناقشة نفسك من جديد».

دفع نفسه إلى الأمام، ليضع رأسه بين يديه. لو أنه يعلم ما يجب عليه أن يفعل، فلماذا تدور هذه الثرثرة في ذهنه؟ لماذا يشعر أنه مريض ومرهق جداً؟ استلقى روث على السرير وحدق بالسقف. شعر برأسه يرتج من شدة النبض في صدغيه.

رفع روث ذراعه، وألقاها على عينيه. كلما أسرع في إعادة بناء شخصيته الضعيفة المتهورة، كلما كان ذلك أفضل له.

١٠ - المواجهة مستمرة

أسرعت هانا بارتداء ملابسها، ونزلت الدرج لمساعدة جون في إعداد العشاء. ما إن دخلت إلى المطبخ، حتى شعرت بالسعادة عندما سمعت جون تدندن أغنية قديمة. من الواضح أن كلامها المشجع أعطى ثماره. تمنت لو أنها تشعر بالثقة نفسها بقدرتها على إنقاذ هذا الفندق كما تفعل جون. استدارت المرأة العجوز ما إن اقتربت هانا، فابتسمت لها ورحبت بها.

نظرت هانا حولها. المطبخ نظيف كما هو دائماً، ميتشي نائم على سجادته. رأت على طاولة إعداد الطعام وعاء كبير مليئاً بالبطاطا، بكمية كافية للعشاء. سألتها: «ماذا تريدينني أن أفعل؟».

- قطعي البطاطا وجهزيها للقلي. أنا سأبدأ بتحضير فطيرة الدراق.

لم تستطع هانا إلا أن تضحك قائلة: «قطعة أخرى من فطيرتك الشهية ولن أتمكن من ارتداء سروال الجينز».

اندفعت جون لإعداد المقادير لفطيرتها وهي تقول: «لا تكوني سخيفة، فأنتن الفتيات الشابات اليوم نحيفات جداً».

أمسكت هانا بسكين حاد من الدرج، وبدأت بتقطيع البطاطا. قالت: «آه! لكنني لا أستطيع شراء سروال جديد».

عضت لسانها شاعرة بالانزعاج من نفسها. أمن الضروري أن تتكلم عن وضعها المادي؟ أدركت أنها غير قادرة على التحدث عن طريقة إنقاذ الفندق الآن، فهي مرهقة جداً عاطفياً، ودماغها في فوضى كاملة. لم تتبدل ابتسامة جون، بل قالت: «ستتبدل هذه الأمور، ما إن تبدأي

بتحويل هذا المكان إلى مكان مزدهر».

ابتسمت هانا، ثم رفعت قطعة من البطاطا وسألتها: «هل هذا الحجم مناسب؟».

قالت جون: «رائع! جهزت وعاء الطهو على النار. عندما تنتهين من تقطيعها، ضعيها في داخله».

- حسناً!

- كيف كانت نزهتك هذا الصباح مع العزيز ديكون؟

كادت هانا تقطع إصبعها. هذا موضوع آخر تفضل تجنبه. يبدو لها كأن زمناً مضى مذ خرجت برفقة ديكون. أجابت: «آه! جيدة».

- ألا تجدين أنه أفضل رجل على الإطلاق؟

- لا يفاجئني قولك هذا.

عندما انتهت من تقطيع البطاطا، وضعتها في الوعاء. تساءلت أي موضوع تستطيع التحدث عنه، لكي تبعد ذهن جون عن خطتها للتقريب بينها وبين ديكون. تسارعت الأفكار في رأسها فقالت: «أتعلمين؟ فكرت بعدة طرق للإعلان عن الفندق. ما دمت تحبين التحدث مع الناس عبر الانترنت، ولديك الكثير من الأصدقاء على الشبكة يمكننا...».

قاطعتها جون: «رائع عزيزتي! هل قمتما أنت وديكون بأي أمر مميز اليوم؟».

أجفلت هانا لاستخدام جون كلمة «مميز». بدا لها كأنها تعلم بشأن العناق الذي تبادلاه على الطريق الخاصة بالفندق. تنهدت من أعماق صدرها. ما جدوى الدوران حول الموضوع؟ وضعت السكين على لوح التقطيع، ثم نظرت إلى جون، وقالت: «حسناً لنكن صادقتين...».

هزت رأسها باحثة عن الكلمات المناسبة قبل أن تتابع: «ما زال ديكون مغرماً جداً بزوجته المتوفاة، وهذا أمر يناسبني، لأنني لست في وارد إقامة علاقة حميمة الآن».

في الواقع ما تقوله صحيح. لكن للأسف الشديد، أضاف قلبها بصمت: ما عدا الافتتان السخيف بشخص متكبر.

علقت جون: «لا أصدق ذلك!».

وضعت الخلاط على الطاولة بقوة جعلت غيمة من الطحين الأبيض تتشكل فوقها، وأضافت: «ليس بعد ما رأيته».

نبرتها القوية أكدت لهانا أنها على حق بشكها. كانت جون تختلس النظر إليهما عندما وصلا. شعرت بوجهها يتورد من الخجل. رفعت السكين، ثم عادت إلى العمل وهي تقول: «نعم. عانقني ديكون، لكن كانت تلك تجربة من قبله».

بدت جون سعيدة، وهي تعلق: «بدوتما رائعين كعصفوري الحب وأنتما تتعانقان».

أجبرت هانا نفسها على التمسك بالهدوء. قالت: «لا! تلك كانت تجربة، وقد فشلت».

بعد فترة من الصمت كافية لمسح ابتسامة جون عن وجهها، قالت: «لا أفهم شيئاً مما تقولينه».

لم تجرؤ على تكرار ما قاله ديكون بالتحديد، لذا قررت أن تكذب، فقالت: «قال إنه يستطيع فقط أن يكون صديقي».

نظرت إلى جون، وأكملت: «ما رأيته هو عناق صديقين لا عناق حبيبين».

ظهر الضيق على وجه جون، ثم قالت: «لا يمكنني تصديق ذلك. أخبرني ديكون أنه منجذب إليك».

- حسناً! أشعر بالإطراء فعلاً لأنه قال مثل هذا الكلام عني. لكن قد يكون المرء منجذباً إلى شخص ما، إلاّ أن الوقت ما زال غير مناسب لحدوث شيء بينهما.

وضعت يدها على ذراع جون، وتابعت: «محاولتك التقريب بيني وبين ديكون أمر لطيف جداً. يوماً ما ستأتي امرأة ينجذب إليها إلى

درجة تنسيه حبه لزوجته المتوفاة، وأنا أحسد تلك المرأة لأنها محظوظة جداً، لكنها ليست أنا، فهو مازال غير مستعد لتقبل علاقة حقيقية، كذلك أنا».

ربتت على يد جون، ثم أمسكت بالسكين، واستأنفت عملها.

- صدقيني، جون! أنا لا أرغب مطلقاً بالاعتماد على أي رجل، أو أن أكون دمية متحركة بيد أي رجل.

تابعت بحزن: «أتيت إلى هنا لأستعيد ثقتي بنفسي، وهكذا سأتمكن من المواجهة من جديد، فأتمكن من رفس أي أحمق متفاخر».

وجهت ابتسامتها إلى جون، وتابعت: «بدأت أستعيد ثقتي بنفسي، أعلم الآن أنني لا أريد العمل في مؤسسة كبيرة».

هزت برأسها لتؤكد ما قالته، وهي تكمل: «أنت من ساعدتني على القيام بذلك، وهذا أمر في منتهى الأهمية. يجب أن تكوني فخورة بذلك».

لم تقل جون شيئاً، وهذا ليس من عادتها. بفضول نظرت هانا إلى المرأة. بدت ملامح وجهها خالية من أي تعبير بالرغم من الإطراءات التي تفوهت بها هانا، فسألتها: «ما الأمر، جون؟».

ابتسمت لها مضيفتها، وقالت: «يجب ألا تشعري بالمرارة نحو الرجال عزيزتي، من أجل تجربة سيئة مررت بها».

أجابت هانا وقد تفاجأت من تعليق جون: «أنا لا أشعر بالمرارة نحو الرجال».

- أعتقد أنك كذلك. قبل أن أرسل لك بطاقة الدعوة لتمضية عطلة لمدة أسبوعين هنا، تحدثنا عبر الإنترنت عن تجربتك في عملك الأخير وعن طلاق والديك. أتذكرين؟

- حسناً! ربما بدوت...

بحثت عن الكلمة المناسبة.

قالت جون: «مليئة بالمرارة. من الرائع أن تكوني مستقلة، هانا. أنا

أيضاً كنت فتاة مستقلة».

امتلأت عيناها بالحنين إلى تلك الأيام كما يحدث معها دائماً عندما تفكر بزوجها. تابعت: «كنت ناجحة جداً في أيامي تلك، لم أكن بحاجة إلى رجل لأحصل على السعادة».

ضحكت من ذكريات الماضي، ومضت تقول: «كنت شابة يافعة، ومليئة بالثقة بالنفس، وأرغب بقوة في المحافظة على حريتي. والدي كان متسلطاً. ربما يشبه والدك. أقسمت عندما رحلت من منزل والدي أنني لن أسمح مطلقاً لرجل بأن يسيطر عليّ أو يأمرني».

تابعت خلط العجين من دون أن تفكر بما تفعله، وهي تتابع: «ولم يفعل ذلك أي رجل أبداً. ليس لأنني تجنبت أي علاقة، بل لأن حبيبي دور كان نصفي الآخر وشريك روحي. كان بإمكاني أن أطلق عليه صفات والدي وأبعده عني بسبب الخوف أو الضيق أو العناد، لكن لحسن حظي، سمحت لحكمة عميقة في نفسي أن تقودني. إذ همست لي: ثقي بهذا الرجل. ثقي بعاطفتك تلك».

ابتسمت وعادت إلى متابعة عملها بحماسها المعتاد.

- وهذا ما فعلته، هانا. وثقت بشيء ما عميق في داخلي، مع أنني لم أفهمه جيداً. ذلك الاحساس المجهول وذلك الحدس الغريب بالإضافة إلى تصرفات دور الرائعة هي التي أوصلتني إلى الحقيقة. لم يكن دور ذلك الأب الظالم المتفاخر، بل كان حبيبي وصديقي. كان ضحكاتي عندما تباغتني الدموع، وجرأتي عندما أشعر بالخجل، ونور حياتي عندما أتعثر في الظلام.

في تلك اللحظة رأت فيها هانا تلك الشابة المتوهجة الحرة التي كانتها عندما قابلت زوجها. تابعت جون: «الشريك الحقيقي لن يرغب مطلقاً في السيطرة عليك، عزيزتي. سيكون حصناً تتكئين عليه، وأنت ستكونين له كذلك. أجل، في الأوقات التي يحتاج فيها إلى قوتك، ستجدين آباراً عميقة منها في داخلك لتقديمها له، لأن هذا ما تريدينه،

وهذا إحساس أقوى من الحياة نفسها».

هزت جون رأسها مؤكدة ما تقوله: «لا تسمحي للخوف بأن يمنعك من التعرف على نصفك الآخر، ثم رفضه بسبب مرارة عمياء أو عناد أحمق».

شعرت هانا بالدموع تملأ عينيها فرمشت لتتخلص منها. قالت: «سأحاول القيام بذلك».

ضمت المرأة العجوز إليها، وأضافت: «شكراً لك».

ضمتها جون إلى صدرها بدورها، وربتت على كتفها وهي تقول: «مع أنني وروس على خلاف دائم، لكن أعتقد حقاً أنه نصفك الآخر، ففي النهاية...».

تراجعت هانا من بين ذراعيّ جون، وتبدل مزاجها من الدفء والحنان إلى الصدمة الصاعقة. صرخت: «ماذا؟».

تابعت جون إعداد فطيرة الحلوى، وهي تعلق: «القمر الأزرق، عزيزتي».

- حسناً! أنا لا أصدق شيئاً من هذا.

- ليس بمقدورنا دائماً أن نفهم القدر.

- لكنه مسيطر وعنيد، ولا يشبه مطلقاً حبيبك دور.

بدت جون متعاطفة معها وهي تقول: «ربما معك سيكون مختلفاً».

- ربما سينمو له جناحان وهالة من نور أيضاً، لكنني أشك بذلك.

تابعت هانا بسخرية: «من جهة أخرى، حتى لو كان مختلفاً معي، لا يمكنني أن أحب شخصاً يعامل الناس بالطريقة التي عاملك بها، شخصاً يهدد ويزعج الناس كما فعل بك».

- هل أذناي تحترقان؟

سؤال روث جعل هانا تلتفت بسرعة نحو الباب، قالت: «يجب أن تعلق جرساً في ثيابك، وهكذا تعلم الناس بقدومك المرعب».

ابتسم روث لها بمكر، لكن لم يظهر أي فرح حقيقي في عينيه. أشار

نحو حذائه، وقال: «لابد أن حذائي هو السبب. إنه حذاء رياضي لا يصدر صوتاً. آسف لذلك».

قالت جون: «مرحباً، روس! أترغب في تناول شيء ما؟ ربما وجبة سريعة وخفيفة تكفيك حتى موعد العشاء».

- لا يمكننا تقديم الطعام في أي وقت.

قالت هانا ذلك، ورمقته بنظرة كأنها تتحداه أن يطلب شيئاً.

حدق إليها بتحدٍ كأنه يقول: أنا مستعد للمواجهة.

- في الواقع بعد أن فكرت بالأمر، أشعر بالقليل من الجوع.

- حسناً! إذاً...

نظرت جون نحو هانا، وقالت بصوت هامس بالكاد يسمع: «في الواقع هانا أنا أبقي مطبخي مفتوحاً أمام الضيوف».

- إن كنا سنعمل على وضع هذا المكان على طريق الاستثمار والربح، فلا بد من تغيير ذلك.

- سألقي نظرة على البراد، لأرى ما الذي يغريني تناوله.

وسار روث إلى هناك.

سبقته هانا ورمت بنفسها أمام البراد واضعة ذراعيها على جانبيه، وقالت: «فوق جثتي».

وقف روث على بعد خطوة واحدة. ضحك بصوت عالٍ، وأجاب: «لا تغريني للقيام بذلك، عزيزتي».

- أطفالي! أطفالي! من فضلكما...

ظهر القلق في صوت جون، لكن هانا لم تبعد عينيها عن روث. ابتسامته ذكرتها بزمجرة الذئب، أما عيناه فتشعان كالنار، ما جعلها تشعر باضطراب في معدتها. شعرت هانا بالتوتر، ليس لأنها خشيت أن يؤذيها، لكنها تحدته بحماقة. متى ستتعلم ألا تتصرف بتهور؟

فجأة، وعلى حين غرة، أمسك روث كتفيها بيديه وعانقها...

بدا عناقه كأنه مدخل لسلسة من الأحداث. تلاحقت دقات قلبها

بسرعة الصاروخ، وعاشت تجربة من الفرح، ثم شعرت بألم غريب في أطرافها، فاندفعت النار في عروقها. بعد مرور لحظة واحدة انحرفت الأرض من محورها بطريقة غريبة. بارتباك شديد وجدت هانا نفسها متعلقة بالبراد بقوة كي لا تقع أرضاً. لم تعد يدا روث ممسكتين بكتفيها بعد أن أنهى عناقه لها. بدا كالبرج قربها، وبدت جاذبيته قوية تماماً كعناقه.

قال بصوت عميق: «هذا يكفيني حتى موعد العشاء».

بعد لحظة واحدة، أغلق الباب الخلفي، ولا بد أنه رحل. تجمعت عقدة في حلقها مع صرخة خافتة من الخيبة، ولولا تمسكها بإرادة جبارة لسقطت على الأرض في كومة واحدة.

علقت جون برهبة: «يا إلهي! لاشك أنه رجل عاطفي جداً».

نسيت هانا أنها وروث ليسا بمفردهما. أغمضت عينيها وهي تشعر بالخجل الشديد. ما إن سمعت صوت جون حتى فتحت عينيها لتحدق بمضيفتها مذعورة من تلك الفكرة.

- إنه... إنه...

عضت على شفتها لتتخلص من إحساسها بالخجل. تمكنت أخيراً من المتابعة: «... إنه قاسٍ وفارغ. كما أنه أقل الناس عاطفة في العالم كله».

ابتسمت لها جون بتعاطف، وعلقت: «إن كان هذا ما تقولينه!».

أظهرت نبرة صوتها عدم اقتناعها وهي تسير نحو هانا. أبعدت خصلة من الشعر عن وجهها، وأمسكت بذراعها لتقودها إلى المقعد، وهي تقول: «لا تسمحي له أن يعانقك إذاً عزيزتي».

* * *

- فعلت ذلك ثانية!

مرر روث يديه بشعره مندهشاً من فقدانه السيطرة على نفسه قرب هانا. لقد هجم عليها بالفعل، وعانقها في المطبخ أمام جون باترسون. ما الذي كان يفكر فيه؟ وأين عقله؟ أطلق شتيمة. عقله يضيع تماماً عند

رؤية العينين الرماديتين الخضراوين اللتين تشعان بالغضب. لماذا يشعر بمثل هذا الانجذاب نحو هذه المرأة التي تلفظ النار؟ الأمر الأكثر إزعاجاً وسخرية هو أنها لا تخفي حقيقة أنها تكرهه بشدة.

مع أن روث يعرف ذلك، فهو يستمر في معانقتها. لماذا؟ هناك الكثير من النساء الراغبات به في العالم، واللواتي سيشعرن بالسعادة لمجرد التفاته إليهن. لكن لا! ها هو يعانق امرأة ترمي بنفسها في طريقه عند كل منعطف، سواء أراد شراء فندق مفلس أو حتى أراد أن يفتح باب البراد. بالطبع! لم يوفر هو مناسبة إلا وعانقها، لكن عليه أن يعترف أن عناقها كان رائعاً، ومن المستحيل نسيانه. مع ذلك يبدو أنها تكره نفسها وتكرهه بسبب ذلك.

نادته مونا التي كانت تقف في الظل في خرائب المعبد القديم لترسم لوحة.

- سيد جيرك! وصلت فعلاً في اللحظة المناسبة. اقترب من فضلك!

رفع روث نظره نحوها. تفاجأ لأنه سار هذه المسافة، وأصبح قريباً من المكان الذي ترسم مونا فيه بدون أن يلاحظ. حسناً! لا شيء لديه ليفعله في هذه اللحظة، لذا فعل ما طلبته منه. هزّ رأسه بتهذيب، وقال: «مساء سعيد، مونا».

نظرت إليه مونا بصرامة، ومالت برأسها باهتمام ذات اليمين وذات اليسار. سألها: «ماذا أستطيع أن أفعل لك؟».

شعر بالامتنان لأن لديه ما يفعله، فهذا سيبعد أفكاره عن هانا.

- أتريدين أن أحضر لك شراباً بارداً لترتاحي قليلاً؟

قالت مونا: «أنا لا أشرب مطلقاً عندما تأتيني لحظة الإلهام».

أشارت إليه ليقترب أكثر وهي تتابع: «أحتاج إلى مساعدتك من أجل محاولة فنية جديدة».

فكر بولع مونا بالرسم من خلال رمي الألوان، وتساءل إن كان

قميصه وسرواله سيتمكنان من النجاة. سألها: «ماذا؟».

كانت ترتدي ثوباً فضفاضاً أخضر اللون مليئاً بالبقع والطلاء فوق سروال جينز ممزق. شعرها الأسود والأبيض يلتف حول وجهها النحيل بغموض وكثافة. أنزلت مونا اللوحة الملطخة بالطلاء عن حامل اللوحات، ووضعتها بجوار شجرة قريبة. وضعت لوحة قماش جديدة نظيفة على الحامل، وقالت: «إلهامي يصرخ بي: «ارسمي جذع رجل» وها أنت هنا. هذه فرصة سعيدة جداً لكلينا. سيكون جذعك أول جذع رجل أرسمه، وستصبح خالداً من خلال لوحاتي».

لم يستطع روث إلا أن يبتسم من غرورها وطريقتها الارتجالية الواثقة من أنه سيقبل أن يكون نموذجاً للوحاتها. روث ليس رجلاً تقليدياً، لكن أن يجلس أمام مونا لترسمه...

- تسعدني مساعدتك. لكن يجب أن تعلمي أن وقتي ثمين جداً.

وقف حيث أشارت له كي يقف. حدقت مونا به بعين فنانة خبيرة. حركت فرشاتها قبالة صدره، وقالت: «رائع جداً! لديك جذع متناسق وعضلات قوية. يمكنك أن تكون نموذجاً رائعاً».

قال روث بمرح: «سأتذكر ذلك دوماً».

هزت رأسها برضى، ثم ضربت ذقنها بمؤخرة عصا الفرشاة، وأضافت: «وسيم جداً! سيكون عملاً رائعاً».

أمالت رأسها إلى درجة خشي روث معها أن ينقطع. راقبها وهي تتأمله بجدية وتركيز.

لوحت بطريقة غامضة بيدها، وتابعت: «اتكئ على تلك الشجرة، وقم بتحريك ذراعك».

تردد روث لحظة، متسائلاً ماذا تراها تقصد؟ كيف تريده أن يحرك ذراعه؟ اتكأ على الشجرة واضعاً كاحليه فوق بعضهما، ومرر يديه داخل جيبي سرواله. لم يقم بأي حركة أخرى بذراعيه. نظر إلى البحيرة. سطحها أملس كالزجاج، وليس هناك نسمة واحدة تحرك المياه، ومع

الرطوبة العالية، بدا له أن الحرارة هنا أقوى من الجحيم.

- رائع! بدأت قطرات العرق تظهر على جبينك وعنقك. ابق كما أنت.

نظر إليها ملياً. قال يمازحها: «العرق يكلفك أكثر».

لم تجب بأي كلمة، فسألها: «هل وضعية ذراعي جيدة؟».

- إنهما رائعتان.

على الأقل، ها هو يحظى باستحسان إحدى النساء الماكثات هنا. ألقى رأسه إلى الوراء على الجذع الخشن للشجرة، ورفع نظره إلى الأعلى حيث السماء الزرقاء تشع من بين الأغصان.

قالت مونا: «آه! ابق رأسك عالياً. فلديك عنق جميل».

أغمض روث عينيه وهو يشعر بالكآبة.

- اجل! أحب ذلك. ملامح وجهك حزينة بشكل مؤثر. ليس هناك أشد جاذبية من رجل وسيم حزين.

تعليقها أربكه. هل سمح لقلقه أن يظهر على وجهه؟ رجال الأعمال المميزون لا يشكون بأنفسهم. ليستعيد قدراته السابقة، قرر أن يمازح مونا. قال: «هل الرجل الحزين المليء بالعرق ملفت فنياً؟».

بدا كأن مونا خرجت من انبهارها الفني، ونظرت إليه كأنها سمعت بالفعل سؤاله. بعد لحظة قالت بجدية مطلقة: «لا شك بذلك. هذا أمر داخلي... إحساس عميق مليء بالعواطف».

تابعت مونا تثرثر غير مدركة للألم الذي يشعر به: «الافتتان الفني مماثل جداً للالهام الفني. كلاهما أمران يصعب تفسيرهما. تعلمت عبر السنوات أن أتبع ما يمليه علي إلهامي، واكتشفت أن الفنان يفشل عندما يحاول مقاومة إلهامه».

قطب جبينه متأملاً بما قالته. بعد لحظة تمتم قائلاً: «وهل هذا ينطبق على النزوات أيضاً؟».

- ماذا قلت؟

هز رأسه ورفعه تماماً كما طلبت منه. قال: «لا شيء».

أغمض عينيه محاولاً ألا يفكر بشيء. بعد مرور عدة دقائق، قالت: «الوقوف لفترة طويلة أمر متعب. سنأخذ استراحة لخمس عشرة دقيقة. هل يمكنك أن تبقى كئيباً طوال تلك الفترة؟».

- لا مشكلة في ذلك.

استقر إحساسٌ كئيب وثقيل على صدره. لم يعلم روث كم من الوقت مضى، لأنه كان يعمل على تهدئة أفكاره المقلقة.

- حسناً! مونا كيف تجري الأمور. آه!

فتح روث عينيه ما إن ظهرت هانا وراء الجدار الحجري. عندما التقت عيونهما توقفت عن السير فجأة. لاحظ أنها تحمل بعض الزهور البرية. لم يستطع إلا أن يشعر بالاعجاب بها، فهي واقفة هناك كغزالة مرتبكة في ذلك الثوب الزهري اللون، وقد جذبت شعرها إلى الوراء على شكل ذيل الفرس. أمسكت هانا بعناية باقة الزهور التي جمعتها. ومن الواضح أنها فوجئت لرؤية مونا ترسم روث. بدت مونا غارقة في عملها الفني لدرجة أنها لم تلاحظ وجود هانا، فشعر روث بحاجة ليفسر لها. قال: «إنها تقوم برسم جذع الإنسان».

- هـمم!

رمشت هانا بعينيها، ونظرت إلى الأرض وهي تتراجع خطوة إلى الوراء. بدا واضحاً أنها لا تريد أن تتكلم معه أو حتى أن تراه. لكن روث تجاهل انزعاجه، وابتسم لها قائلاً: «لا أعتقد أنها سمعتك».

- كل ما في الأمر أنني كنت مارة...

وأشارت بيدها بدون قصد منها وكأنها فقدت القدرة على متابعة الجملة.

ساعدها قائلاً: «كنت تمرين من هنا».

- آه! أجل.

مال برأسه، وحدق بمونا قائلاً بصوت عالٍ: «لديك رفقة».

استدارت مونا، وتحولت ملامح التركيز في وجهها إلى حيرة واضحة وهي تسأل: «ماذا؟ هل قلت شيئاً ما سيد جيرك؟».

- لديك زائرة.

- لا! غير صحيح. أقصد... كنت مارة...

أضاف روث: «من هنا».

يساعدها حتى في الكلام؟ ألأنه يريد التواصل معها؟

قالت مونا: «لا تذهب! بالكاد بدأت».

نزع يده من جيبه وأشار إلى هانا قائلاً: «لديك رفقة».

سارت هانا نحو مونا، ونظرت بفضول إلى اللوحة، ثم قالت: «هل تعملين على موضوع جديد؟».

جلست مونا على كرسيها، وأظهرت إعجابها بما فعلته بابتسامة واثقة وسعيدة: «أجل. جاءني الإلهام. فما رأيك؟».

نظرت هانا عن كثب إلى اللوحة. ظهر على ملامح وجهها عبوس مفاجيء. نظر روث إلى وجهها وأنفها المجعد. تساءل كيف أصبحت صورة جذعه بين يدي مونا.

قالت مونا: «حسناً! عبري عن رأيك».

هزت هانا رأسها، فشعر روث أنها تأخذ وقتها لتفكر في الإجابة.

- إنها بدون أي شك... جذع رجل.

- لكن... هل هو مؤثر فنياً؟

سألها روث ذلك راغباً في جذب نظرها إليه أكثر من رغبته في سماع إجابتها. نظرت إليه هانا، ورمته بتلك النظرة المعادية، ثم غضنت أنفها. وعلم أن ما ستقوله لن يكون لطيفاً. قالت: «تمكنت مونا من تحويل جذعك إلى شيء يستحق النظر إليه».

قال: «المرأة عبقرية».

قالت مونا: «هيا، هانا! أقدر كثيراً مدحك، وهذا طبيعي. لكن...».

نظرت أولاً إلى عملها ثم إلى روث، وتابعت: «. . . علينا أن نظهر الإعجاب عندما يكون هناك أمر مميز بالفعل. لدى السيد جيرك جذع رائع حقاً».

راقب روث هانا، وقد أصبح خداها حمراوين، حتى إنه شعر بالقلق. سألها: «هل أنت بخير؟ تبدين متوردة الوجه!».

التقت نظراتها بنظراته لأقل من لحظة. قالت بضيق وهي تستدير بسرعة: «أنا بخير. علي أن أذهب لأضع هذه الأزهار في الماء».

نظرت مونا إلى ساعة يدها، وقالت متفاجئة: «يا إلهي! روث، إنها السادسة والنصف. أحتاج إلى تنظيف معداتي والاستحمام قبل العشاء».

تنهدت وهي تهز رأسها وتتابع: «لِمَ لم تقل لي إن وقت فرصتك قد انقضى منذ وقت بعيد؟».

رفع كتفيه قائلاً: «لا يشعر المرء بمرور الوقت عندما يكون مستمتعاً».

ابتسمت مونا وقد انطلت عليها الكذبة. قالت: «هذا صحيح، كما أنك نموذج رائع للرسامين».

جمعت فراشيها، ونظرت إليه قائلة: «يمكنك المغادرة».

حملت نبرة صوتها تنازلاً واضحاً! هز روث رأسه، وقال: «شكراً».

- يمكنك أن تأتي لأتابع الرسم غداً.

بل يفضل أن تلتهمه الذئاب الشرسة، قال: «سنرى».

الآن بات عليه إيجاد عذر مناسب. تذكر تردد هانا وانزعاجها من البقاء بقربه. انحنى جاثماً تحت الشجرة، وتابع: «سأبقى هنا لفترة».

- حسناً! ارتاح، فأنت تستحق ذلك.

ركز روث نظره على البحيرة الهادئة. قاوم إحساساً قوياً يدفعه إلى التحديق بظهر هانا وهي تتمايل مبتعدة عنه. وضع مرفقيه على ركبتيه، وتخيل أنه يتنشق عطرها. علم أن ذلك من صنع خياله فقط. . .

١١ - رحيل بلا وداع

بقي روث لفترة طويلة رابضاً تحت تلك الشجرة. هذه الرحلة كانت قاسية جداً عليه، وقد علمته درساً صعباً جداً: إنه لا يستطيع التخلي عن إنسانيته. بدأ الصراع منذ اليوم الأول الذي وصل فيه إلى الفندق، لكن أخيراً تهدمت كل الحواجز التي أقامها حول نفسه. أما الأمر المدهش حقاً فهو أن الثقب الدامي الذي خلقه ذلك الصراع قد سمح للنور أن ينير دربه. أخيراً واجه ما كان يعرفه دائماً في أعماقه، لكنه كان يرفض رؤيته. لن يقدم أبداً على هدم منزل جون القديم لينشئ مكانه منتجعاً من الإسمنت والزجاج والفولاذ.

لو فكر ملياً بالأمر، لأدرك أن قلبه لم يكن فعلاً موافقاً على المشروع. الحقيقة هي أنه لا يرغب أبداً بالقضاء على الغابات والمناظر الطبيعية الرائعة، ليبني غرفاً ومواقف للسيارات. كما أنه لا يرغب في هدم ما تبقى من المعبد المحاط بالحدائق المليئة بالأزهار البرية. الفندق أيضاً هو واحد من تلك الكنوز التي بدأت تختفي، وهو ملاذ للفكر والجسد والروح.

هذه الإجازة في فندق القمر الأزرق سمحت له بأن يرى خيارات حياته بوضوح وأن يفهم ما الذي يجب تغييره. تذكر ما قاله لهانا عند البحيرة: الشخص الكفوء يعلم متى عليه طلب المساعدة. وقف روث، ثم مشى مبتعداً. أمسك بحامل اللوحات وباللوحة التي تمثل جذعه. نظر إليها مطولاً. بعيداً عن حقيقة أن مونا رسمت حدود جسده بالأخضر، ووضعت عليه لمسات من اللونين الأحمر والأصفر، فإن

الصورة تبدو فعلاً جذع رجل. سار نحو المنزل، وفي طريقه إلى هناك توصل إلى قرار ما: آن الأوان ليضع فندق القمر الأزرق، وكل من فيه وراءه! دخل عبر باب المطبخ حيث وجد جون تسحب فطيرة الدراق من الفرن. رائحة المكان بدت له كرائحة منزل سعيد. لا بد أن الروائح تخلق العواطف.

سمعت جون الباب يغلق، فاستدارت لترى روث يدخل ويضع لوحة مونا في الزاوية. وضعت مضيفته الفطيرة على صينية معدنية على طاولة المطبخ، وهي تقول: «سيقدم العشاء بعد خمس عشرة دقيقة، روس».

ابتسم روث وهو يشعر بالارهاق، لكن بالتصميم أيضاً. قال: «لن أكون هنا على العشاء، حان وقت المغادرة».

بدت جون مرتبكة، فقالت: «لا! أمامك يومان بعد».

هز كتفيه قائلاً: «علي أن أعود إلى عملي».

إن تناول المزيد من طبخ جون سيحتاج إلى تمضية ساعتين كل يوم في قاعة الرياضة بدلاً من ساعة واحدة.

- ابق على الأقل لتناول العشاء.

هز رأسه وأجاب: «لا أعتقد ذلك».

تخيل صورة هانا. آخر مرة رآها فيها لم يدرك أنها ستكون الأخيرة. إن سمح لنفسه برؤيتها ثانية، يعلم أنه... ماذا؟ أبعد عن خياله صورة أخذها بين ذراعيه. إن سمح لنفسه برؤيتها فقد يضعف. من الأفضل أن يرحل نهائياً. لمس كتف جون، وقال: «أمضيت عطلة جميلة هنا».

أراد أن يخبرها بأنه عدل عن فكرة شراء الفندق. قال: «جون، أنا...».

توقف عن الكلام. لا! ليدع هانا تفعل ما ترغب به. إنه يشعر بالاهتمام لرؤية مدى النجاح أو الفشل الذي ستحققه. إن نجحت فهنيئاً لها، وإن فشلت، ولم تستطع تأمين ربح مقبول، سيشتري المنزل، ويقدمه هدية لجون. إنه أمر جيد ومناسب فعلاً. البقاء هنا سمح له أن

يصبح أكثر انسجاماً مع تواجده في هذا العالم. بإمكانه أن يقدم قرضاً لجون ليساعدها على الخروج من هذا المأزق، لكن هانا عنيدة جداً وفخورة بنفسها، كما أنها عدائية تجاه أي شيء له صلة باسم جيرك، لذا سترفض ذلك بشكل مطلق.

شعر بشيء ما، قرر أن يسميه استياء، بسبب الابتعاد عنها، لكن الوقت حان ليعود إلى حياته العملية.

أعادته جون إلى الواقع حين سألته: «ماذا؟ ماذا أردت أن تقول؟».

هز رأسه وأجاب: «لا شيء. الأمر ليس هاماً. أنا بحاجة إلى الرحيل».

قالت جون: «لكنك تعشق فطيرة اللحم بالتفاح».

نظر إلى وجهها بأسى، وقال: «أجل، أحب طعامك كثيراً، لكن ظروف العمل قاهرة».

توقف عن الكلام، وضغط بحنان على كتفيها. لمعت برأسه فكرة غريبة، سيفتقد حتى مناداته من قبل هذا المرأة «روس جونسون». أضاف وهو يهز رأسه: «أنت تفهمينني. أليس كذلك؟».

إنه العذر الغامض: «متطلبات العمل». سواء استعمله الرجل للتهرب من حبيبته أو للهروب من مواجهة فتاة تلفظ ناراً ولا يجرؤ على رؤيتها ثانية، خشية أن يزحف عائداً إلى ذراعيها.

* * *

حدقت هانا بباقة الزهور البرية التي جمعتها من الحديقة، والتي رتبتها بعناية. قالت لنفسها: إنها جميلة حقاً! أشياء مثل الزهور الطبيعية قد تشكل فارقاً كبيراً، ومن دون أي مصاريف إضافية.

نظرت إلى ساعتها: «آه، يا إلهي!».

إنها السابعة وعشر دقائق. لِمَ لم ينادِها أحد لتناول العشاء؟ اندفعت للقيام عن حافة السرير. مررت يدها على ثوبها الزهري اللون. لم ترتده منذ الصيف الماضي، وقد نسيت كم تحبه. إنه أكثر ثيابها جمالاً، كما

أنه أنثوي جداً. همس صوت في رأسها: «كما أنه يعجب روث أيضاً. العناق في المطبخ هو دليل على ذلك».

شعرت بالاحراج والعناد معاً من تلك الذكرى. قالت لنفسها محذرة: «لا تفكري به، فروث جيرك لا يستحق أي عاطفة صادقة».

حملت إناء الزهور، وغادرت غرفتها. على الفور تنشقت الرائحة الشهية للطعام من الطابق الأرضي. آه! الجلوس قرب روث على طاولة العشاء لن يهدئ من توتر أعصابها أبداً. نزلت الدرج وهي تظهر بوضوح عدم اهتمامها، فآخر ما تريده أن تظهر للعلن كم هي متأثرة بعناق روث. هي لا تريد ذلك. تمكنت من تجاهله كلياً في الحديقة، وهو يقف كنموذج لمونا، وهذا تماماً ما ستفعله أثناء العشاء.

أظهرت على وجهها الشجاعة، وقالت: «آسفة على تأخري، لكنني أردت أن أظهر هذه الباقة بأجمل حلة».

استدارت نحو زاوية غرفة الطعام، وهي تشعر بالخوف من لقاء عينيها بعيني روث. حدقت بالباقة، وتابعت: «كيف تجدونها؟».

قالت جون: «إنها رائعة».

أضافت مونا: «لو أنني ما زلت أرسم الحياة كما هي بالفعل، لنقلت الباقة إلى لوحة ما».

بعدئذٍ ساد الصمت. لم تتوقع هانا تعليق روث، لكنها تمنت لو أنه فعل. من دون أن تتمكن من السيطرة على نفسها نقلت نظرها إلى مكانه على الطاولة، فوجدته فارغاً.

أي دليل على أنه تأخر عن القدوم بدا مستحيلاً، فلا طبق ولا أدوات طعام ليستخدمها. عاشت هانا لحظة من الانزعاج، تحولت بسرعة إلى قلق واضح. همست: «هل رحل روث؟».

قطع إحساس كبير بالخسارة أنفاسها.

- استجد أمر ما في العمل.

رفعت جون كوب القهوة إلى شفتيها، تجهم وجهها وهي تسأل:

«ألم يودعك قبل ذهابه؟».

هزت هانا رأسها بالنفي. انطفأ النور في مكان ما في قلبها، وإلى الأبد. في تلك اللحظة علمت أنها لن تشعر مطلقاً بالسعادة بعد الآن. هي لا تريد أن تهتم لروث جيرك، لكن الحقيقة المحزنة التي لا تستطيع إنكارها انغرست في ضميرها كأنها بركان متفجر: إنها تهتم كثيراً لأمره!

روث بعيد جداً عن الحبيب المثالي وعن الرجل الذي ترغب بالوقوع في حبه، مثل ديكون فانس الحنون الصادق النزيه. لكن مهما حاولت إقناع قلبها، تبقى هناك حقيقة بسيطة واضحة وهي أنها مغرمة بيأس وجنون بروث جيرك، ومعرفة ذلك تمزقها وتؤلمها. أيقظها من أفكارها الحزينة صوت تحطم شيء ما. أدركت أن الإناء سقط من يدها، وتبعثر على الأرض الخشبية.

ركعت على الأرض وبدأت بجمع القطع المتناثرة، وكأنها إن فعلت ذلك بسرعة ستتمكن بطريقة سحرية أن تجمع أجزاءها معاً. صرخت: «آه! إناؤك الجميل...!».

لم تعد ترى بوضوح، فمسحت عينيها بظاهر يدها. نهضت جون عن كرسيها وهي تقول: «إنه مجرد إناء زجاجي صغير».

أدركت هانا أن جون ركعت بجانبها، وراحت تمرر منديل المائدة القطني على المياه المتجمعة. قالت: «لا تفكري به مطلقاً. سنجمع الزهور، ونجد لها إناء آخر».

شعرت هانا بيد ناعمة على ذقنها، مالت بوجهها لترى مضيفتها. قالت جون بنبرة حزينة فيها الكثير من التعجب: «يا إلهي! صغيرتي، هذه ليس مأساة. الأمر لا يستحق دموعك».

تمنت هانا من كل قلبها لو أن ما تقوله جون حقيقي.

١٢ - صفحة جديدة

بذلت هانا كل طاقتها لإنقاذ فندق القمر الأزرق. استعملت كل طريقة مثمرة وغير مكلفة تمكنت من التفكير بها كي يصل اسمه وصفاته المميزة للناس في العلن. أعلنت عنه مؤكدة أنه منزل عائلي له مميزات قديمة الطراز، لكن يمكن للمرء في الوقت نفسه أن يشعر بالعزلة التي ينشدها فيه. استعملت البريد الالكتروني والإنترنت للتحدث مع الناس ولجذب الضيوف. محاولتها الأولى لإغراء سكان المنطقة السابقين لزيارة المكان جاءت بنتيجة مدهشة؛ أكثر من تسعين شخصاً حجزوا في الفندق، ما أبقاه مليئاً لثلاثة أسابيع متواصلة. أمضى النزلاء معظم أوقاتهم قرب البحيرة؛ يضعون أرجلهم في الماء، أو يتنزهون سيراً على الأقدام في الغابات القريبة، أو يلعبون الورق على الشرفة. أما احتفال الأسبوع فهو تناول الطعام في الهواء الطلق. وبالطبع، طعام جون هو أشهى ما يمكن تقديمه في نزهات مماثلة.

في المرة التالية، أعلنت عن عطلة أسبوعية للمخطوبين، ولاقت الفكرة نجاحاً لابأس به. طرحت مونا فكرتها الملهمة أيضاً، فدعت أصدقاءها الفنانين للمشاركة في عطلة أسبوع فنية. وهكذا أتى العديد من الرسامين ليعلنوا بصوت عالٍ عن آرائهم الفنية.

أصبحت فطيرة نهاية الأسبوع المفاجأة الدائمة، واستمرت لستة أسابيع على التوالي، بعد أن حجز لأجلها عدد فاق ما هو متوقع من رجال ونساء. من الواضح أن النساء انشغلن كثيراً بأعمالهن لدرجة أنهن نسين أمر إعداد الطعام الشهي. هكذا أثبت طهو جون أنه عمل ناجح

جداً ومفاجأة لمعظمهن.

بعد أشهر قليلة قدمت هانا وجون عروضاً لتعليم إعداد الطعام، وفي كل مرة تحت تسمية مختلفة.

عملت هانا ثمانين ساعة في الأسبوع في الأشهر القليلة الأولى. بجانب عملها في الأمور المالية تشاركت مع جون بأعمال التنظيف والطهو. أخذت الخدمات تزداد مع قدوم كل ضيف. نتج عن ذلك توازن دقيق مربح، قدم لها المزيد من التحديات بسبب طبيعة جون الكريمة. مع ذلك، بدأت الأرباح تغطي ديون جون. أجبرت هانا عاطفتها القوية تجاه روث أن تتراجع إلى مكان خفي في عقلها، تاركة المجال لها لإنقاذ فندق القمر الأزرق. مع ذلك، كانت الحقيقة تطفو أمامها وتقض مضجعها ليلاً، فتواجه حبها اليائس بذرف الدموع. روث متزوج من شركة جيرك للنفط، ومن الواضح أنه لا يهتم لأمرها. فلماذا عليها التمسك بذكرى رجل لا يستحقها؟

يوم بعد يوم، وليلة بعد ليلة، وشهر بعد شهر، راح قلبها يتألم، ولا يعطيها أي جواب شافٍ.

* * *

إنه شهر شباط. أرسلت هانا بالبريد الشيك الأخير للضرائب المتبقية بالإضافة إلى البند الجزائي. غرف الضيوف كلها مليئة بالزبائن، وجون تنتقل في المكان وهي تفور نشاطاً وفرحاً. حتى إنهما تمكنتا من استخدام امرأة للمساعدة يومياً في التنظيف والغسيل، تاركة المجال لجون وهانا للعمل في الاستقبال وفي إدارة الفندق. لكن هانا كانت تشعر أنها وحيدة وضائعة، وهي لا تستطيع إبعاد روث عن أفكارها وقلبها. لم ترغب بأن تعترف، حتى لنفسها، أن البلدة الصغيرة التي تعيش فيها منذ سبعة أشهر ليست لها. إنها بحاجة إلى العيش في مدينة أكبر، وإلى الاحتكاك بأشخاص في مثل سنها، فهي تحب ارتياد المسارح ورقص الباليه، ولا شيء من ذلك متوفر هنا.

جمال البحيرة وهدوؤها والعواطف المشتركة في هذه البلدة الصغيرة لها سحرها، لكن هانا كانت تشعر بالعزلة والضيق، كما أنها لا تستطيع إبعاد روث عن أحلامها. أخيراً واجهت الحقيقة. قرارها بأن تصبح المديرة المالية في الفندق جاء بدافع عاطفي وليس نتيجة تفكير ودراسة. تمددت وهي تبعد كرسيها إلى الوراء عن مكتبها الصغير في آخر غرفة النوم التي تتشارك بها مع جون. هذا سبب آخر يزيد من ضيقها وانزعاجها، فهي لا تحظى بأي خصوصية. المشاركة في الغرفة أصبحت حاجة ضرورية بغية استعمال غرف الضيوف بحكمة.

في الأسبوع الماضي، كانت هانا تزور متجر البلدة، فحظيت بالصدفة بامرأة جديرة بأن تدير الفندق؛ لوسي جونز محاسبة متقاعدة، ذكرت لها بيأس رغبتها في الابتعاد عن البيت بسبب ولع زوجها الحديث بالعزف على آلة الترومبون.

مؤهلات لوسي جعلتها المديرة المثالية للفندق، بالإضافة إلى أن رغبتها في الابتعاد عن البيت بشدة جعلتها ترغب في العمل مهما كان المبلغ الذي سيدفع لها.

بينما كانت هانا تبحث على الإنترنت، وجدت أن مؤسسة صغيرة لضرائب الدخل في تولسيا فقدت مؤخراً المدير المساعد، وهي بحاجة إلى بديل مؤهل على وجه السرعة. على الفور أرسلت هانا ملفها الشخصي. فعلت ذلك هذا الصباح، ومنذ ساعة فقط وصلتها الموافقة على عرض العمل. لديها أربع وعشرون ساعة لتتخذ قرارها. وضعت جانباً قلمها، ووقفت. لقد اتخذت قرارها بالفعل. ستقبل بالعرض.

المؤسسة الصغيرة لديها القدرة الكافية على إعطائها ما تبحث عنه بالتحديد. يوماً ما ستصبح المديرة أو ربما تشتري الشركة من المالك. أمامها العديد من الفرص في المستقبل لتفعل بالتحديد ما تريده من عملها. سمعت صوتاً في رأسها يضيف: «وتولسيا ليست المكان الذي يعيش فيه روث جيرك». عادت أفكارها إلى ذلك الممر الذي تسير فيه دائماً. تذكرت أفعاله اللطيفة التي يخفق لها قلبها الأحمق متأملاً. لكنه

في نهاية الأمر يبقى ذلك الرجل الجشع المحب للمال.

ليت الابتعاد يساعدها على نسيانه، لأنها فشلت في القيام بذلك حتى الآن. هناك الكثير من الأمور التي تستطيع القيام بها في تولسيا لتبقي فكرها منشغلاً. تمتمت: «مثل التواعد مع الرجال الوسيمين الذين لا يتسللون كالأفاعي».

تنفست بعمق لتضاعف شجاعتها. كل ما تبقى أمامها هو أن تنقل الأخبار إلى جون. غداً ستتمكن من تسليم مهام الإدارة للوسي جونز. بعد ذلك، في المساء ستغادر. من الأفضل أن تفعل ذلك بسرعة. شعرت بألم في معدتها. ليس لأنها تعتقد أن خيارها خاطئ، بل لأنها تعلم أن جون ستشعر بالانزعاج. المرأة المسكينة ليس لديها أدنى فكرة عن خطة هانا للرحيل، وجبنها هو السبب. لم يبد لها أي وقت مناسب للتحدث عن ذلك، وهي تعلم أن جون ستحزن كثيراً، وهي تكره أن تسبب الحزن لامرأة أصبحت تحبها، فجون أصبحت بمثابة عائلتها. مع ذلك، آن الأوان لقلب الصفحة في حياتها. خلال الأشهر الماضية استعادت الكثير من ثقتها بنفسها، وهي ستنجح بدون شك مع أن قلبها سيحتاج إلى وقت طويل ليشفى.

فاجأها إحساسها المخيف بخيبة الأمل. على من تراها تكذب؟ لن يشفى قلبها مطلقاً. ستحمل الجراح معها حتى آخر يوم من عمرها. خنقت تنهيدة، ووضعت يديها على وجهها. استجمعي قوتك!

بمجهود كبير رفعت رأسها عالياً، واتجهت إلى القاعة نحو مدخل الفندق. نادت: «جون!».

شعرت بالتعجب لأن نبرة صوتها بدت كالعادة فعلاً.

أجابت جون: «أنا في المطبخ عزيزتي».

وصلت هانا إلى باب المطبخ وقالت: «جون، أريد التحدث إليك».

رفعت جون نظرها، وهي تبتسم لها وعيناها تلتمعان فرحاً. شعرت هانا بالأسف لأن ما ستقوله سيغيب الفرح والابتسامة عن وجه جون.

١٣ - لا حياة بلا حب

يتفجر نيسان في أوكلاهوما بالحياة الجديدة، وتتفتح براعم النرجس البري الأصفر في الأرض معلنة ولادة الربيع، أما زهور الأشجار الحمراء فتضيف ترحيباً واسعاً على المناظر الطبيعية.

بدا العالم أكثر جمالاً في هذا اليوم من نيسان، فيما انعطف روث بسيارته نحون فندق القمر الأزرق. ظهر له منزل جون من وراء عدد من أشجار السنديان الخضراء اللون، شعر بالمزيد من القوة والتوتر. مرت سنة تقريباًعلى آخر مرة رأى فيها هانا. تلك الأشهر بدت له فترة من البحث الروحي، بدلت أسلوب حياته العملية ونظرته الشخصية للأمور.

بعد تجربة الصيف الماضي في الفندق عاد إلى شركته. بدأ بتسليم المهام إلى غيره من الموظفين وإعطاء نفسه المزيد من الوقت للعيش خارج المكتب. مهما يكن، فقد اكتشف أن المزيد من الوقت الحر لا يعني بالضرورة أن حياته أصبحت أكثر فرحاً. أما العلاقات العاطفية العابرة فقد تركته بارداً يملؤه إحساس بالفراغ. هكذا أمضى أيامه ولياليه في التفكير والتأمل. بعد وقت طويل من تحليله لذاته، رأى روث أن تجنبه العواطف العميقة ليس إلا خوفاً من الخيانة. قد تكون أحكامه مخطئة في بعض الأحيان، لكن كل شخص يمكن أن يخطئ.

أوقف سيارته على الطريق المليئة بالحصى بجانب الفندق. تفاجأ عندما رأى ثلاث سيارات قرب سيارة جون القديمة. هل هناك فعلاً ضيوف في الفندق؟ ابتسم لفكرته تلك. إن كان هناك شخص قادر على تبديل وضع هذا الفندق، فلابد أنه هانا.

خرج من السيارة وهو يشعر بالتوتر. ما الذي ستفعله عندما تراه؟ لقد أزعجته في معظم الأوقات، لكن ذكراها لم تخفت يوماً. منذ تلك الليلة التي غادر فيها الفندق الصيف الماضي ووجهها وهاتان العينان وحرارة عناقها تلاحقه في أحلامه. تسللت ذكراها إلى منجزاته في العمل مؤثرة به، إلى أن سمح لنفسه مؤخراً أن يرى الحقيقة: يمكن لحياته أن تصبح كاملة بوجود هانا! بإمكانه أن يعيش معها سعيداً، لطيفاً، مهتماً بالغير، وغير مادي. مع هانا شريكة روحه، بإمكانه أن يسمح لنفسه أن يصبح إنساناً. مع مرور الوقت هذه الحقيقة نمت في أعماقه، وفي النهاية سمحت له أن يفهم كم هو بحاجةإلى هانا هودسون، وكم اشتاق إليها، وكم يحبها.

اجتاحته موجة جديدة من الخوف بينما كان يسير باتجاه الفندق. ما الذي ستقوله عن عرضه بالزواج؟ هل ستسمح لنفسها بإمكانية مشاركة حياتها مع أي رجل، لاسيما هذا الرجل: روث جيرك؟

عليه تحمل الكثير للحصول على قلب هانا. كلما اقترب أكثر كلما شعر كأنه رجل حكم عليه بالموت، وهو يصعد ليواجه حبل المشنقة. إن رفضت حبه، ستحكم على قلبه بالعذاب الدائم. وقف عندما وصل أمام الباب كأنه أصيب بالتجمد للحظة. مع ذلك، وبالرغم من هذا الخوف شعر فجأة بفرح لا يمكن التعبير عنه لمعرفته أنه سيراها من جديد. تنفس لمرات عدة محاولاً أن يستجمع شجاعته. أين هو الشخص القوي المسيطر روث جيرك، صاحب شركة جيرك للنفط؟

شعر بالسخرية من نفسه. إنه قادر على تحمل الضيق الذي يتآكله، وكذلك العقدة القوية في معدته والخوف البارد الذي يحيط بقلبه، لأنها كلها تدل على أنه فعلاً حي وإنساني، وهذا ما يريده.

بعاطفة جياشة وعنيفة قرع الجرس.

بينما كان ينتظر شعر بالوقت يبطئ. هل ستفتح الباب بنفسها؟ وإن فعلت، هل ستبتسم له لأنها تعرفه، أم أن تينك العينين الساحرتين

ستحدقان به بقسوة؟

عندما فُتح الباب، ظهرت جون أمامه. أخفى روث خيبة أمله بصعوبة. ابتسم من كل قلبه وقال: «مرحباً!».

إنها تبدو كما كانت في السابق، كذلك كلبها الهرم مازال يسير على بعد خطوات منها. شعر بفرح غريب لرؤية الكلب، فانحنى ليسلم عليه قائلاً: «كيف حالك صغيري؟».

رفع ميتشي قائمتيه إليه، وسمح له أن يمسد له ذقنه.

قالت جون: «ماذا؟ روس جونسون؟! يالها من مفاجأة!».

وقف ممسكاً بيدها الممدودة. أخيراً قال: «تسعدني رؤيتك».

تفاجأ عندما اكتشف أنه يشعر بسعادة غريبة لأنها عرفته باسم روس جونسون من جديد. جال بعينيه على ردهة الاستقبال. زوجان عجوزان خرجا من غرفة الطعام، واختفيا في غرفة الجلوس. حتى الآن لا أثر لهانا. قال: «يبدو أنك تملكين عملاً رائعاً هذه الأيام».

- آه! أجل. رائع جداً.

ترددت جون قليلاً، وظهر القلق على وجهها للحظة قبل أن تضع على ملامحها قناعاً من التهذيب والضيافة اللتين تشتهر بهما. تابعت: «دفعت كل الضرائب المتأخرة، إن كان هذا هو سؤالك. كما أنني مازلت غير مهتمة بالبيع».

أحرجته ملاحظتها. التقى بنظراتها الحزينة، وابتسم لها معتذراً وهو يقول: «لم آتِ إلى هنا كي أزعجك بهذا الأمر».

فكر للحظة، كم بدا أنانياً وضيق التفكير بالنسبة لها، وأي أحمق كانه بالفعل. قال: «أعتذر عن كل شيء مضى، وأنا سعيد لمعرفتي أنك بخير. لم أشك يوماً أن هانا قادرة على القيام بذلك».

- أحقاً؟

هز رأسه وقال: «ولا للحظة واحدة».

بادلته الابتسام، وهي تقول: «حسناً! هذه أخبار جيدة. كنت أحمل

انطباعاً أنك غير معجب بها».

شعر روث بألم في صدره. حاول كل ما يستطيع كي لا يظهر ألمه. قال معترفاً: «على العكس تماماً، فقد أعجبت بها منذ البداية».

- أتقصد منذ تلك الليلة تحت ضوء القمر؟

حملت ضحكته القصيرة إدراكاً ووعياً أكثر من المرح، وقال: «أجل أعتقد ذلك».

تذكر عينيها الجميلتين من قبل تلك الليلة، لكن عندما رآها مغتسلة بنور القمر الأزرق في تلك اللحظة تغيرت حياته إلى الأبد.

ضغطت جون على يده بكلتا يديها، وقالت: «حسناً، حسناً! تبدو لائقاً جداً».

تساءل إن كانت تحاول أن تكون لطيفة. تابعت: «ادخل! إن كنت هنا من أجل إجازة قصيرة، فأنت محظوظ بالفعل. السيد والسيدة داكورث رزقا بأول حفيد لهما هذا الصباح، ومن الطبيعي أن يعودا إلى جوبلن لرؤية الطفل. ستبقى غرفتهما خالية حتى نهار الجمعة».

قال شاعراً أنه سينفجر إن لم ير هانا في الحال: «حسناً! سأفكر بالأمر، لكنني في الواقع أرغب برؤية هانا».

كررت جون: «هانا؟!».

بدت حائرة ومرتبكة، لدرجة أنه توقف عن النظر إلى المكان، وأعاد انتباهه إليها: «أجل. هل هي منشغلة؟».

جذبته جون إلى الداخل وهي تقول: «بالطبع».

نظرت إلى ساعة يدها، وتابعت: «يكون الناس عادة في أعمالهم في مثل هذا الوقت».

ابتسمت له قبل أن تكمل: «إنها مغامرة تلك الفتاة. يفاجئني أن مغامراً مثلك ليس في العمل الآن. ما الذي دفعك للمجيء إلى هنا؟».

نظر إليها بعصبية، وقال مجدداً: «أتيت للتحدث إلى هانا، لأنني أرغب برؤيتها».

غابت ابتسامة جون وهي تقول: «إنها ليست هنا».

تنهدت وهي تهز رأسها بحزن: «حزنت على خسارتها كمديرة إدارية هنا، لكن امرأة شابة نشيطة مثل هانا لها الحق بأن تتبع قلبها».

سمع روث جملة جون، لكنه لم يفهمها. قال: «تتبع...».

بحيرة ترك الكلمة تموت على شفتيه، لأنه شعر بإحساس مزعج يعتريه. لمعت برأسه فكرة مخيفة. هل تزوجت هانا الشريف؟

شدّت جون على يده قائلة: «ماذا، روس؟ تبدو غير سعيد. تعال واجلس. هل تناولت الطعام؟ انتهى وقت العشاء، لكن مازال هناك الكثير من المعكرونة».

لم يستطع أن يتذكر متى أكل آخر مرة. هز رأسه لكي يتخلص من الكابوس أكثر منه رغبة بالإجابة.

- إذاً يجب أن تأكل شيئاً ما. ما رأيك بقطعة فطائر باللحم المجفف؟

- أين؟

- في أي مكان تريده؛ المطبخ، غرفة الطعام، أو يمكنك أن تشاهد مباراة البنغو في غرفتك.

قاطعها قائلاً: «لا».

مازال منشغلاً بتخيل هانا كعروس لديكون فانس. مهما كانت هذه الرؤية صعبة عليه، عليه أن يسمع الحقيقة الآن. تابع: «أين هي؟».

ردت جون مرتبكة: «من؟».

سحب روث يده من بين يدي جون، وأمسك كتفيها قائلاً: «هانا! أين هي هانا؟».

رجفة جون أعلمته أن قبضته سببت لها الألم، فأسقط يديه على الفور وهو يسأل: «هل تزوجت؟».

رمشت جون بعينيها، وسألت: «تزوجت؟ أتقصد هانا؟».

بطريقة ما تمكن من السيطرة على نفسه وقال: «أجل هانا. هل

تزوجت من الشريف؟».

كررت جون، وقد بدت متضايقة: «الشريف؟ لماذا؟ لا! ما الذي أعطاك هذه الفكرة؟».

شهق بقوة. عاوده الأمل فقال: «اعتقدت... حسناً! أين هي؟».

- إنها...

قطبت المرأة جبينها: «رحلت من هنا».

- إلى أين؟

- مازالت في أوكلاهوما، لكنها تعمل في عمل جديد.

- متى غادرت؟

- منذ شهر تقريباً، افتقدتها كثيراً، لكنها شابة والحياة هنا مملة جداً.

تنهدت بطريقة مسرحية، وتابعت: «أستطيع أن أتفهّم سبب رحيلها. ففي النهاية عندما كنا أنا ودور شابين غادرنا لنتعرف على العالم. الآن بالطبع أولوياتي...».

قاطعها روث على الفور: «بالطبع، أدرك ما هي أولوياتك. أين تعمل الآن؟».

بدت جون حذرة، وسألته: «لماذا؟».

قال باختصار: «أحتاج إلى رؤيتها».

هانا يجب أن تكون أول شخص يعرف بشعوره وبحبه.

بدت ملامح جون قلقة، وسألته للمرة الثانية: «لماذا تريد رؤيتها الآن؟ بعد كل هذا الوقت؟».

هز رأسه منزعجاً. لماذا يسمح لهذه المرأة باستنطاقه؟

- إنه أمر شخصي.

- آه! أحقاً؟

مالت جون برأسها لتحدق بتعابير وجهه.

قال روث محاولاً أن يطمئنها: «لا أريد أن أزعجها».

- حسناً! لا أعلم.

زفر بقوة، وسحب هاتفه النقال وقال: «ما من مشكلة. سأتصل بمكتب الاستعلامات، وأحصل على رقم هاتفها».

- لا أعتقد أنهم قادرون على إعطائك رقماً غير مسجل عزيزي، لكن يمكنك المحاولة.

وقف روث جامداً والهاتف بيده. أخذت جون الهاتف منه، وربتت على كتفه قائلة: «هيا! تناول قطعة من الفطيرة والقهوة. مونا هنا، وستسعد كثيراً برؤيتك. علي أن أذهب إلى المكتب للتحدث على الانترنت لعدة دقائق. هناك من ينتظرني».

أمسكت ذراعه، وقادته إلى غرفة الطعام. ضغطت عليه ليجلس، وهي تضع الهاتف بقربه: «مونا تحبك كثيراً. لن تصدق! لوحة جذعك كانت أول لوحة تبيعها».

ابتسمت جون، وتابعت: «سأطلب منها أن تحضر لك قطعة الفطائر. القهوة في الإبريق قرب الخزانة كالعادة. اسكب لنفسك فنجاناً. عندما أعود من مكتبي سنتحدث، وربما سأعطيك رقم هاتف هانا، وأدلك على مكان إقامتها».

* * *

إنه ابتزاز بالفعل! لم يفكر روث مطلقاً أن سيدة عجوز مثل جون باترسون قد تلجأ إلى مثل هذه الألاعيب المشينة، لكنها فعلت. سيحصل على ما يريده إذا مكث الليلة هنا. وعدته أن تعطيه عنوان هانا عند الصباح. قالت إن ضميرها لا يسمح لها أن تدعه يقود سيارته مسافة طويلة في الليل وهو يبدو متوعكاً. أمر مضحك! كيف يمكن للمرء أن يبدو لائقاً جداً منذ ساعة واحدة، وبعد أن يتناول قطعة من اللحم وفنجان قهوة يصبح متوعكاً، ولا يسمح له بالقيادة.

ها هو يجلس الآن في غرفة مهجورة في الظلام والعذاب، أما المعلومات التي يريدها فهي رهينة لدى سيدة عجوز لطيفة ومحبة

لتعذيب الغير. إنه متوتر جداً، ولا يستطيع الاستلقاء. كل ما يراه أمامه ليلة طويلة من العذاب، وهو يذرع الغرفة ذهاباً وإياباً.

تمتم من بين أسنانه: «هانا! أين أنت؟».

ضجة عالية دفعته ليرفع رأسه. شخص ما يطرق باب غرفته.

- نعم!

سمع روث صوتاً أنثوياً يقول: «لا أهتم إن كنت محتشماً أم لا، أيها المتفاخر المتكبر الملتهم للنفط، سأدخل».

عرف على الفور صاحبة الصوت، وشعر بقلبه ينطلق ليصل إلى سطح القمر. قفز على قدميه. لابد أن صلاته استجيبت. هانا! حقيقة أنها نادته بالمتفاخر المتكبر الملتهم للنفط لم تؤثر مطلقاً على مزاجه الفرح المتجدد. فتح الباب بقوة ليظهر أجمل منظر يمكن له أن يتخيله. بدت هانا مضيئة من خلال الضوء في الممر. وقفت هناك تشع كما هي دائماً. شعرها الأشقر يتوهج بفوضى حول وجهها، ويتجلى على كتفيها. إنها ترتدي سترة ضيقة وتنورة قصيرة ضيقة أيضاً وحذاء ذا كعب عالٍ، وتبدو كأنها خارجة للتو من صحيفة للأزياء.

أراد روث أن يصرخ... أن يضحك... أراد أن يلمسها ويعانقها... أن يضمها إليه ويعيش معها لحظات لم يعرفها من قبل.

- مرحباً!

تباً! ها هو يقف مرتدياً سروالاً قصيراً، وقد فقد كل أمل له أن يبدو أمامها كأمير الأحلام. علقت هانا: «مرحباً؟ هل هذا كل ما لديك لتقوله؟».

دخلت إلى الغرفة مغلقة الباب بعنف خلفها.

ابتسم لها قائلاً: «لا! لدي الكثير لأقوله».

كاد روث يشعر بعداوتها، مع ذلك لم يستطع إلا أن يشعر بالسعادة. سارت باتجاهه وهي غاضبة كما لم يرها من قبل.

- من الأفضل أن تفعل ذلك. كيف تجرؤ على العودة إلى هنا مهدداً

بالتنقيب عن النفط في ممتلكاتك بعد كل ما فعلناه لنحمي هذا المكان من الإفلاس؟

أصبحت قريبة منه الآن لدرجة كافية كي يتنشق عطرها.

تابعت وهي تدفعه بقوة على صدره لتؤكد ما قالته: «كيف تجرؤ على شراء حقوق التنقيب في ممتلكات جون، فتأتي من الباب الخلفي لتسرق أرضها؟ البدء بالتنقيب سيدمر عملها. لا أحد سيرغب بالبقاء هنا مع وجود رافعات الأثقال والأنابيب والمعدات التابعة للعمل. لم أسمع مطلقاً بمثل هذا العمل المخادع الدنيء من قبل».

مدّ روث يده، وأمسكها من كتفيها بلطف لكن بثبات، وقال: «تسعدني رؤيتك هانا. تبدين رائعة».

تحول غضبها إلى شهقة من الصدمة. قالت: «ماذا؟».

لم يستطع السيطرة على نفسه، فمرر إصبعه فوق خدها وإلى وراء أذنها دافعاً بخصلة من الشعر معه. قاوم بشدة ألا يضمها إليه ويعانقها بقوة.

- قلت إنك تبدين رائعة. اشتقت إليك كثيراً.

فتحت هانا فمها غير مصدقة. علم أنها تريد أن تقول شيئاً، لكن بدا كأنها تعاني صعوبة في إيجاد الكلمات: «أنا، أنت...».

من الواضح أنها تحاول أن تعود إلى هجومها. دفعت بصدره متراجعة إلى الوراء بعيداً عن يديه، وقالت: «توقف عن ذلك. أنا أعتقد أنك أفعى لا تملك أي إحساس».

قال متمتماً: «أنت تعتقدين... أنني... أفعى؟».

قالت وغضبها يتنامى: «لا! لا! أنت على حق. أنا لا أعتقد أنك أفعى، لأن مناداتك بهذا إهانة للأفاعي. في الواقع لا يمكنني أن أفكر بكلمة قاسية أو لاذعة كافية لمناداتك بها».

إنها رائعة! جسدها رشيق أنيق، كأن الطبيعة تعمدت أن تنحته بهذه الطريقة من أجل هدف واحد وهو تعذيبه. ابتلع روث غصة في حلقه قبل

أن يقول: «حسناً! بينما تفكرين بالأمر دعيني أسألك من أخبرك أنني أملك حقوق التنقيب في هذه المنطقة؟».

سألته: «أنت لا تنكر هذا إذاً. أليس كذلك؟».

هز رأسه وقال: «لا. هذا صحيح».

حدقت به بغضب صارخ وهي تقول: «إذاً أنت تعترف أنك أتيت إلى هنا لتنزع قلب جون من صدرها بإعلامها أنك إن لم تستطع أن تسرق منزلها بطريقة، فإنك ستجد طريقة أخرى».

أصغى وهو يجد صعوبة في استيعاب ما تقوله. سألها: «هل أخبرتك جون بذلك؟».

- عندما اتصلت بي الليلة بدت المسكينة مصابة بالهستيريا.

- أحقاً؟

لم يرَ أي أثر للهستيريا في تصرفات المرأة، بل عناد شديد ورفض حاسم لإعطائه عنوان هانا، وإصرارعلى عدم السماح له بالمغادرة وهو متعب، لكن هستيريا؟ هذا أمر مستبعد. إذاً، ذلك الحديث عبر الإنترنت هو مجرد عذر للقيام بذلك الاتصال الهستيري. إنه يعترف لجون بقدرتها، فهي ماهرة بالتمثيل تماماً كقدرتها على الانتقام.

- عندها قفزت إلى سيارتك، وقدتِ إلى هنا لتكوني الفارس القوي بدرعه اللماع، لتذبحي التنين جيرك. أليس كذلك؟

- عليّ أن أفعل ما أستطيعه لأجعلك ترى كم هو عمل إجرامي ومرعب التنقيب في هذا المكان. ستقضي على جمال هذه الأرض بالمعدات والرافعات، كما أنك ستدمر البيئة والجمال الطبيعي.

إنها على حق. نظر روث إلى وجهها ملياً. الألم في عينيها يصل إلى قلبه: «أنا معجب جداً بعاطفتك».

تابع غير قادر على السيطرة على نفسه: «في الواقع أنا أحب حماسك وعاطفتك».

طرفت هانا بعينيها، وبدت غاضبة وحائرة معاً. من الواضح أنها لم

تتوقع أن يقول شيئاً كهذا. قالت متسائلة ببرودة: «عفواً؟».

لم يعد روث قادراً على مقاومة رغبته بضمها بين ذراعيه، فجذبها إليه. لم تقاومه هانا، لكنها بقيت جامدة. بدا من الواضح أنها مصدومة جداً. تمتم قرب أذنها: «أنا أحب ولاءك وشجاعتك، كما أنني أغرمت بعنادك وتهورك اللذين لولاهما لما كنت هنا الآن».

ضغطت هانا يديها على صدره، لكنها لم تدفعه بعيداً. أحبّ لمسة يديها الباردتين على بشرته. حتى لو كانت مستعدة لترفضه، فهي لن تفعل. رفعت وجهها لتتمكن من رؤيته، وهمست: «أنا لا أفهم شيئاً».

لمس جبهتها برقة، وقال: «أقول لك إنني أتيت إلى هنا اليوم بحثاً عنك».

حدقت به غير مصدقة: «بحثاً عني؟».

تنشق عطرها وأجاب: «أجل».

- لكن التنقيب...

- لا أعلم كيف عرفت جون أنني أملك حق التنقيب في هذه المنطقة، أو ربما هي لا تعلم بل اخترعت ذلك، فأنا لم أذكر لها الأمر مطلقاً. لأكون صادقاً، أنا أملك حق التنقيب منذ وفاة والدي. ترك لنا هذه الأسهم مناصفة بيني وبين أختي. كان بإمكاني التنقيب هنا منذ سنوات، لكن لم تكن لدي الرغبة في ذلك أبداً.

ابتسم بمرح، وتابع: «الأمر الأكثر أهمية هو أنني لن أفعل ذلك الآن، فأنا أحب جون كثيراً».

حدقت به هانا للحظة طويلة. استمتع كثيراً وهو يمسك بها قربه ويتنشق عطرها ويراقب كل عاطفة تلمع في عينيها.

- وأتيت إلى هنا...

- من أجلك، أجل.

إنها جميلة جداً وهي ضائعة.

- لكن لماذا؟

- ألا يمكن أن تحزري؟

قطبت جبينها، وبدت حائرة ثم هزت رأسها.

قال يمازحها بنعومة: «ولو قليلاً؟ ألا تشعرين بقلبي؟».

بعد لحظة من الصمت بدأت ملامحها تظهر بعض الاحتمالات، كأن فكرة لا تستطيع تصديقها لمعت في رأسها. قالت: «لا».

شعر بقلبه يغوص في صدره. قال: «اعتقدت أن ذلك سيصدمك».

تضاعف التوتر بينهما، وشعر به روث يتردد كالصدى مثل دقات قلبه. إنها فعلاً مرتعبة من فكرة أنه قد يكون مغرماً بها. سألته ونبرة صوتها باردة وقاسية: «ما الذي تقوله لي بالتحديد روث؟».

لاحظ أنها تمايلت قليلاً بين ذراعيه. لماذا؟ تابعت تقول: «أريد أن تكون واضحاً بشأن السبب الذي دفعك للبحث عني. وما هي الفكرة التي ستصدمني؟».

حسناً! لِمَ لا؟ عليه أن ينهض ويعترف بذلك بكل جرأة. إنها على حق، عليه أن يقول كلماته. أراد أن يخبرها كيف يشعر، مع أنه يعلم أنها قد ترفض طلبه. لكن لا نية لديه للتصرف بجبن بعد الآن.

قال بحزن: «حسناً!».

خشي أن تكون تلك المرة الأخيرة، فمرر يده بحب على وجهها ثم على شعرها. وهو يتابع: «إنني أحبك هانا. أعتقد أنني أحببتك منذ اللحظة الأولى، لكنني لم أسمح لنفسي برؤية ذلك».

ابتسم روث بغموض، وأكمل: «لطالما واجهتني بغضب، لكنني استمريت بالعودة إليك لأحصل على المزيد. استمريت بالتقرب منك، مع أنك كرهتني وناديتني بالمتكبر المتفاخر الأناني. بعد رحيلي تمنيت أن أنساك، لكنني كنت أعود إليك في أفكاري وفي قلبي، حتى أدركت أنني لا أريد أن أعيش في قالب من الثلج بعد الآن، بدون أي علاقات إنسانية أو عواطف. أردت أن أكون رجلاً كاملاً. احتجت إلى فترة كي أفهم، لكنني أخيراً فعلت. لأنني أفهم جيداً الآن، أريدك أن تكوني

زوجتي ونصفي الآخر وحياتي».

توقف عن الكلام، وشعر كأنه أحمق. نظر إلى البعيد. بعد لحظة أخرى سيبدأ بالثرثرة بدون أي معنى. يا إلهي!

قال ونبرة صوته مليئة بالعاطفة: «لهذا السبب أتيت... لأجدك وأخبرك ما في قلبي».

لم تقل هانا أي شيء. لم تتحرك. أجبر نفسه على النظر إلى عينيها، محدقاً بهما وخائفاً مما سيراه. اعتقد أنه لمح شيئاً ما. ماذا هناك وراء ذلك الغضب العاصف؟ نظر إليها أكثر. هناك شيء يتحرك في أعماق عينيها الجميلتين. شيء اعتقد أنه أمر مستحيل قبل لحظة واحدة.

سألته هانا: «هل تحبني حقاً؟».

اعترف بنعومة: «أكثر من الحياة».

بملامح جدية حدقت هانا به، وقد بدت حائرة. كل لحظة تمر أكثر ألماً على روث. بدأت يداها تتحركان إلى الأعلى فوق صدره. الآن جاء دوره ليبدو مرتبكاً وغير متأكد. استمرت يداها بملامسة بشرته حتى طوقتا عنقه، قالت: «إذاً، إن كنت تحبني ماذا تريد أن تفعل بشأن هذا الحب. أقصد بعد أن تخبرني».

رفعت ذقنها، وتابعت: «هل أنت قادر فقط على الكلام، سيد جيرك؟».

ردة فعلها أذهلته. السعادة كلمة قليلة على الإحساس الغريب الذي تدفق في عروقه. فتح روث فمه، لكنه لم يستطع أن يتكلم. إنه أكثر سعادة مما يستطيع أن يتذكر في حياته كلها. تمكن من الابتسام. سألته هانا وهي تبادله الابتسام: «حسناً! ما زلت أنتظر».

امتلأ قلبه بالفرح والسعادة. ضمها إليه بذراعين مرتجفتين، وقال بصوت عميق أجش: «حبيبتي... حبيبتي! هانا، هل تتزوجين بي؟».

قلبت شفتيها وكأنها تفكر بالأمر، ثم قالت: «سأفكر بالأمر».

قطب جبينه لكن في الظاهر فقط، فقلبه يحلق في السماء السابعة.

قال ممازحاً: «سأعطيك خمس ثوانٍ لتفكري».

رفعت حاجبيها وسألته: «آه! وإلا ماذا؟».

ضحك بنعومة، وهو يشعر بتوهج من ابتسامتها ونور عينيها.

- عندها سأعطيك خمس ثوان أخرى عزيزتي.

هزت رأسها، ثم لامست خده بإصبعها، وتابعت: «إذاً، جوابي هو نعم. والآن عانقني».

شعر روث بالذهول. كيف تتحول الحياة فجأة وتصبح أشبه بجنة على الأرض؟

- هل ستقبلين متكبراً متفاخراً أنانياً ملتهماً للنفط؟

- لم أقابل في حياتي رجلاً بهذه الصفات. والآن أيها الوسيم توقف عن الكلام.

ضحك روث من أعماق صدره، غير مصدق حظه الرائع. رفعها بين ذراعيه وهو يقول: «أنا عاشق للأحاديث المزهرة».

صدمة معرفته بحبها بدأت تزول عنه. وضع ذراعه حولها وابتسم لها بحب وهو يقول: «اعتقدت أنك تكرهينني».

تمتمت: «حاولت ذلك حبيبي بكل ما لدي من قوة».

أمسكت هانا وجهه بين يديها، وتابعت: «أتعلم؟ أغرمت بك منذ اليوم الأول الذي رأيتك فيه في شركة جيرك للنفط. ميلو كان مجرد وسيلة سخيفة للتقرب منك. أفهم ذلك جيداً الآن».

تنهدت، وهزت رأسها لتتخلص من كل أحزان الماضي وتكمل: «عندما اعتقدت أنك قلت عني ساذجة تحطم قلبي. استقلت من عملي، لأنني لم أستطع تحمل أن أكون قربك».

- لكنني لم أفعل

- أعلم، أعلم. لكن في الوقت الذي اكتشفت فيه ذلك لم تكن الرجل الذي يريدك قلبي أن تكونه، فقد كنت قاسياً وبارد القلب وتحاول سرقة منزل جون.

شعر بمرارة الحقيقة في كلماتها، فقال: «كنت مخطئاً. أدركت ذلك في ما بعد. كدت أقدم قرضاً لجون لتنهي أزمتها المالية».

عضت هانا على شفتها، واتسعت عيناها وهي تسأل: «أحقاً؟».

- أجل، لكنني علمت أنك لن توافقي مطلقاً على ذلك.

قالت: «أنت على حق. كنت غاضبة جداً منك. شعرت بخيبة أمل لأن قلبي متعلق برجل».

توقفت عن الكلام للحظة، ثم تابعت: «أعتقد أنني عملت بشكل مضاعف لأبرهن أنني كفوءة لأنني كنت حزينة جداً وضائعة وغاضبة جداً منك ومن نفسي».

ابتسمت أخيراً وهي تقول: «غضبي وخيبة أملي منك جعلاني أمر بما مررت به، ومن المحتمل أنهما ساعداني لأنقذ الفندق من الإفلاس».

هز روث رأسه، وقال: «آسف لأنني سببت لك الألم».

وضعت هانا إصبعها على شفتيه، وقالت: «صه، حبيبي! أنا أقول لك إنك قدمت لي خدمة. استعدت ثقتي بنفسي واحتفظت جون بمنزلها أيضاً».

- علمت أنك ستنجحين، فأنا لم أقابل يوماً امرأة تملك مثل هذه القوة وهذا الجمال. حسناً! لنقل بكلمة واحدة: مثالية.

- وأنت روث جيرك... تبين أنك الرجل الذي أراده قلبي منذ البداية.

شدته هانا إليها، وتابعت: «أنا أحبك كثيراً لدرجة أنني لا أستطيع أن أخبرك كم هو مقدار حبي لك».

امتلأ قلب روث بالكلام، لكن عوضاً عن التحدث عانقها، فتأوهت هانا، لأن عناقهما يغني عن أي كلام.